المبحث العشرون
صِفَةُ الاسْتِوَاء

الاستواء صفة ثابتة لله عز وجل، ويؤمن أهل السنة والجماعة بأن الله تعالى مستوٍ على عرشه إيماناً لا يتخلَّله شكٌّ ولا رَيب، وإثباهم لذلك من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تبديل، ويعدّونها من الصِّفات الفعليَّة التي تتعلق بمشيئة الرَّب سبحانه وتعالى، وأنها من صفات الكمال، اتصف بها ذو العزة والعظمة والجلال، كما يليق بشأنه على غير مثال.

- **عِلمُ معنى الاستواء مع جَهل الكيف:**

قد خاطبنا اللهُ عز وجلَّ بلسانٍ عربيٍّ مبين، وبالواضح الذي يكون مفهوماً للمخاطَبين، خاطبنا بما نفهمه ونعقله، فليس في كلامه غموض ولا خَفاء، وكذلك نبيُّه ﷺ وهو أفصح البشر، حيث خاطبهم بأفصح لسانهم، وأبْيَنِ كلامِهم.

ومقتضى هذا الأمر أن يكون ما أخبرنا الله تعالى ورسوله ﷺ معلومَ المعنى، مفهوماً معقولاً، وإن مما أخبرنا الله عز وجل في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ أن الله تعالى على العرش استوى، فالاستواء معلوم المعنى في لغة العرب.

وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى للاستواء أربعة معان في لغتهم، هي:

١. العلو. ٢. الارتفاع.

١. الصعود. ٤. الاستقرار.

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله في «التمهيد»: (والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم، وهو: العُلوُّ، والارتفاعُ على الشيء، والاستقرار والتمكن فيه)[١].

---

(١) التمهيد: لابن عبد البَر: (١٣١/٧).

وروى البيهقي في كتاب «الأسماء والصفات» عن الفَرّاء رحمهما الله تعالى أنه قال: (وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: ثم استوى: صعد)[1].

فهذه هي معاني الاستواء في لغة العرب التي ذكرها العلماء في اللغة، فيجب حمل كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ على ظاهره المفهوم بذلك اللسان العربي المبين، ولكن لا يلزم من عِلمِنا لمعنى الاستواء أن نعلم الكيفية التي هو عليها، فالكيف مجهول في حق الباري سبحانه.

ولذلك نُقل عن الإمام مالك رحمه الله وغيره من السلف أنهم قالوا مقالتَهم المشهورة التي تلقَّاها العلماءُ بالقَبول: (الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)[2].

ومن طريق شيخه ربيعةَ بنِ أبي عبد الرحمن[3] رحمه الله أنه سُئِل كيف استوى؟ فقال: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة،

---

(١) الأسماء والصفات: للبيهقي: (٢/٣١٠) ؛ وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: للالكائي: الجزء الثالث (٢/٤٤٠).

(٢) أخرجه الذهبي في العلو: (ص١٣٧-١٣٨ برقم ٣٧٧ ، ٣٧٨) ؛ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: الجزء الثالث (٢/٤٤١ برقم ٦٦٤) من طريق جعفر بن عبد الله ؛ وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات: (٢/٣٠٤-٣٠٥ برقم ٨٦٦ ، ٨٦٧) من طريق عبد الله بن وهب ويحيى بن يحيى، وقد جوَّد طريقَ ابنِ وهب ابنُ حجر في فتح الباري: (١٣/ ٤٠٦-٤٠٧).

(٣) ربيعة هو: أبو عثمان، ربيعة بن أبي عبد الرحمن فرّوخ التَّيْمِي؛ مفتي أهل المدينة وشيخهم، يُعرف بربيعة الرأي، قال ابن سعد: كان ثقة وكانوا يتّقونه للرأي؛ روى عن ابن عباس، والسائب بن يزيد، وآخرين؛ روى عنه الثوري، ومالك بن أنس، وجماعة كبار؛ مات سنة ست وثلاثين ومئة. انظر: الوافي بالوفيات: للصفدي: (١٤/٦٤-٦٥ برقم ٤٣٧٢).

وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق)[1].

يقول الحافظ الذهبي رحمه الله بعد ذكره لأثر الإمام مالك: (هذا ثابت عن مالك، وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك، وهو قول أهل السنة قاطبة: أن كيفية الاستواء لا نعقلها، بل نجهلها، وأن استواءه معلوم، كما أخبر في كتابه، وأنه كما يليق به، لا نعمق ولا نتحذلق، ولا نخوض في لوازم ذلك نفياً ولا إثباتاً، بل نسكت ونقف كما وقف السلف)[2].

فتلخص مما سبق أن الاستواء معلوم من حيث المعنى، وهو العلو والارتفاع والصعود والاستقرار، وهو مجهول الكيفية، فلا يجوز لنا أن نُكيِّف استواء الله تعالى بصفات الخلق، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، كما لا يجوز صرف معناه إلى غير ما دل عليه من المعاني، كما فعلت الجهمية حيث قالوا أن الاستواء الوارد في النصوص هو بمعنى الاستيلاء[3]، زعماً منهم أنهم بذلك أهل التتريه[4]، وإنهم لَأهل التكذيب الذين كذَّبوا اللهَ ورسولَه، وبدّلوا كلامَ الله ووقعوا فيه بالتحريف والتغيير، اتباعاً لِسَنَن مَن قبلَنا من اليهود والنصارى حذوَ القُذة بالقُذة[5]، وحذوَ النعل بالنعل، فقد وقعوا في التعطيل والتحريف، عصمَنا الله تعالى من كل زَلَّة تُردي بنا في المهالك.

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: الجزء الثالث (٢/٤٤١-٤٤٢ برقم ٦٦٥) ؛ وابن قدامة في إثبات صفة العلو: (ص١٦٤ برقم ٧٤) ؛ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥/٣٦٥) بعد ذكره لمقولة مالك: (ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك).

(٢) العلو للعلي الغفار: للذهبي: (ص١٣٩).

(٣) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر: (١٣/٤٠٧ ، ٤٠٨).

(٤) انظر: المصدر نفسه؛ وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: للالكائي: الجزء الثالث (٢/٤٤٢-٤٤٣) ؛ والتمهيد: لابن عبد البَر: (٧/١٣١).

(٥) ورَدَ عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟!﴾ =

والأقوال الواردة في إثباتها عن أهل السنة والجماعة أكثر من أن تُحصَر، أوردتُ منها شيئاً يسيراً خشيةَ إطالة المقالة، وسيأتي بعضها في تقرير الشيخ بديع الدين السندي رحمه الله لعقيدة السلف، إن شاء الله تعالى.

كما أنهم استدلوا بأدلة تدلُّ صراحة على ثبوت استواء الرَّحمن على العرش وعلوِّه فوق خلقه، وأنه سبحانه قد استوى كما ذكر، لا كما يخطر للبشر، بل كما يليق بجلاله وعظمته وكماله، وليس كمثله شيء من خلقه.[1]

=أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (١٦٩/٤ برقم ٣٤٥٦) ؛ ومسلم في صحيحه: كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى (١٢٣٠/٢ برقم ٢٦٦٩) ؛ وأحمد في مسنده: كتاب ، باب (٣٥٩/٢٨ برقم ١٧١٣٥) كلهم بألفاظ مختلفة متقاربة. ومعنى حذْوَ القُذة: القُذة بضم القاف: الريشة الواحدة من ريش السهم، تجمع قذذاً، والمراد: أن هذه الأمة ستتبع آثار اليهود والنصارى، وذلك كما يقدر باري السهام الريش التي يركبها عليها، حتى يكون بعضها مساوياً بعضاً، متحاذيات غير مختلفات بالاعوجاج، فكذلك هذه الأمة، في مشابهتها مَن قبلها مِن الأُمَم في العمل والابتداع. انظر: تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار: لابن جرير الطبري: (٦٨٩/٣-٦٩٠).

(١) انظر لمعرفة المزيد عن عقيدة أهل السنة في صفة الاستواء كتاب: الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء: لعبد الرزاق البدر: (ص٢١-٢٦) ؛ وكتاب التوحيد: لابن خزيمة: (٢٣١/١-٢٣٣) ؛ والرد على الجهمية: للدارمي: (ص٣٣).

* تقرير الشيخ بديع الدين السندي لعقيدة أهل السنة فيما يتعلق بهذا المبحث:

لم يكن الشيخ السندي رحمه الله تعالى لِيَحِيد عن مذهب السلف الصالح في إثباتِه لِصفة الاستواء لله سبحانه وتعالى -كمَنهجِه في سائر الصفات-، فقد أثبتَها له على ما يليق بشأنه وعِظَمِ مقامه، من غير تشبيه له بصفات الخلق، ولا تمثيل، على قاعدته المعروفة: إثباتٌ بلا تكييف، وتنزيهٌ بلا تعطيل، على حدِّ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾[1].

- **بيانه لمعنى الاستواء:**

بين الشيخ السندي رحمه الله تعالى تقريراً لمذهب السلف أن الاستواء بمعنى العلوّ والارتفاع، يقول الشيخ في بيان ذلك: (ومعنى الاستواء: العُلوُّ والارتِفاع).

وأتبعه بالاستدلال على ذلك بشيء من الآثار وأقوال السلَف رحمهم الله تعالى؛ فقال: (ففي «صحيح البخاري» في كتاب التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء: "قال أبو العالية[2]: استوَى إلى السَّمَاء: ارتفع؛ فسَوَّاهُنَّ: خَلَقَهُنّ؛ وقال مجاهد: استوى: عَلا على العرش..."[3]

---

(١) سورة الشورى: (١١).

(٢) أبو العالية هو: رُفيع الرِّياحي، من كبار التابعين، وقيل أدرك النبيَّ ﷺ ، وقال شعبة: قد أدرك رُفيع عليًّا، ولم يسمع منه. أعتقته امرأة من بني رياح، روى عنه الإمام أحمد أخباراً بأسانيده في الزهد؛ وكان ثقة كثير الحديث؛ قال أبو خلدة: أن أبا العالية مات يوم الاثنين في شوال سنة تسعين. انظر: أسد الغابة: (٢/٢٩١ برقم ١٧٠٤) ؛ والزهد: للإمام أحمد: (٣٦٧) ؛ والطبقات الكبرى: لابن سعد: (٩/١١١).

(٣) ذكره البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم (٩/١٢٤).

وقال إسحاق بن راهويه[1]: "سمعتُ غيرَ واحدٍ من المفسِّرين يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[2] أي: ارْتَفَع"[3] ...)[4].

فتبيَّن من آثار هؤلاء الأعلام التي ذكرها الشيخ أنَّ معنى الاستواء هو العُلُوُّ والارتفاع، وهو قول المفسِّرين في السَّلَف.

ولذلك قرَّر الشيخ أن تفسير «استوى» بمعنى: استولى غلط كبير، فليس الاستواء بمعنى الاستيلاء، إذْ لم يعرفه أهل اللغة؛ يقول الشيخ رحمه الله تعالى: (وتفسيرالاستواء بمعنى الاستيلاء غلط محض، وقد نقل أبو إسماعيل الهروي[5] في

(١) إسحاق بن راهويه هو: الإمام الكبير، شيخ المشرق، أبو يعقوب، إسحاق بن إبراهيم بن مَخْلَد ابن تميم التميمي الحنظلي، سمع من ابن المبارك وهو مبتدئ، والفُضيل بن عياض، وأممٍ سِواهم؛ وممن حدَّث عنه الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما، وخلق سواهم؛ وكانت له كتب قد دفنها في حياته؛ مات بنيسابور سنة ثمان وثلاثين ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء: للذهبي: (١١/٣٥٨-٣٨٣ برقم ٧٩).

(٢) سورة طه: (٥).

(٣) الأثر نقله الشيخ السندي عن كتاب: محاسن التأويل: للقاسمي: (٢٧٠٣/٧) ؛ وأخرجه الذهبي في العلو: (ص١٥٣ برقم ٤١٥).

(٤) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٥ مخطوط).

(٥) أبو إسماعيل الهروي هو: عبد الله بن محمد بن علي، من ذرِّية أبي أيوب الأنصاريّ، مصنِّف كتاب «ذمُّ الكلام» و«الفاروق في الصفات»؛ سمع من عبد الجبار الجرَّاحي، وأبي الفضل الجارودي، وعددٍ كثير؛ وحدَّث عنه المؤتمن الساجي، ومحمد بن طاهر، وآخرون؛ توفي سنة إحدى وثمانين وأربع مائة. انظر: سير أعلام النبلاء: للذهبي: (١٨/٥٠٣-٥١٨ برقم ٢٦٠) ؛ وطبقات المفسرين: أحمد بن محمد الأدنه وي: (ص١٣٧-١٣٨).

كتاب «الفاروق»[1] بسنده إلى داود بن خلف[2] قال: كنَّا عند أبي عبد الله بن الأعرابي[3] يعني محمد بن زياد اللغوي فقال له رجل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[4] فقال: هو على العرش كما أخبر. قال: يا أبا عبد الله! إنما معناه: استولى. فقال: اسكتْ.. لا يقال استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاد.

ومن طريق محمد بن أحمد بن النضر الأزدي[5] سمعت ابنَ الأعرابي يقول:

---

(١) كتاب الفاروق للهروي من الكتب المفقودة حسب علمي، ومنه نُقول في كتاب العلو للذهبي، أسأل الله أن يمن علينا بظهوره.

(٢) داود هو: بن علي بن خلف الأصبهاني، أبو سليمان، الملقب بالظاهري؛ رئيس أهل الظاهر، سمع سليمان بن حرب والقَعْنبي، وطبقتهم؛ حدّث عنه ابنه محمد، وزكريا الساجي، والرواية عنه عزيزة؛ له من الكتب: «الإيضاح»، و«الذّب عن السنة والأخبار»؛ توفي سنة سبعين ومائتين. انظر: الأعلام: للزركلي: (٢/٣٣٣) ؛ وسير أعلام النبلاء: للذهبي: (١٣/٩٧-١٠٨ برقم ٥٥).

(٣) ابن الأعرابي هو: أبو عبد الله محمد بن زياد، النحوي اللغوي؛ له من الكتب: «النوادر»، و«الأنواء»؛ ينسب كثير السماع من المفضل بن محمد الضبي، وأخذ الأدب عنه وعن الكسائي؛ وأخذ عنه أبو العباس ثعلب وابن السكيت وغيرهم؛ مات سنة ثلاثين —وقيل إحدى– وثلاثين ومائتين. انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للسيوطي: (١/١٠٥-١٠٦ برقم ١٧٤) ؛ ووفيات الأعيان: لابن خلكان: (٤/٣٠٦-٣٠٩ برقم ٦٣٣).

(٤) سورة طه: (٥).

(٥) هو: محمد بن أحمد بن النضر الأزدي، أبو بكر المَعْنيّ، أصله كوفي، ثم انتقل إلى بغداد؛ سمع جدَّه معاوية بن عمرو، وأبا غسان مالك بن إسماعيل، وآخرين؛ روى عنه أبو عمرو ابن السَّمّاك، وأبو بكر النجاد، وغيرهما؛ مات سنة إحدى وتسعين ومائتين. انظر: تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي: (٢/٢٣٦-٢٣٧ برقم ٢٥٩).

أرادني أحمد بن أبي داود[1] أن أجد له في لُغة العرب ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[2] بمعنى: استولى. فقلتُ: والله ما أصبت هذا؛ كذا في «فتح الباري».[3] ...)[4].

فدلّ ذلك أن الاستواء هو بمعنى العلو والارتفاع، ولم يرِد في لغة العَرَب بشهادة أهلِها وأئمَّتِها بمعنى الاستيلاء قَطّ.

ثم نقل الشيخ عن الحافظ ابن القيم رحمه الله بعضَ أوجهِ بطلانِ تفسير الاستواء بمعنى الاستيلاء، وقد ذكر الحافظ في إبطال ذلك أوجهاً كثيرة، ذكر منها الشيخُ أوجهاً خمسة متنوعة، اختارها واختصرَها من كتاب «مختصر الصَّواعق المرسَلة»[5] أذكرها هنا، وهي في الرد على من حرّف معنى الاستواء إلى معنى الاستيلاء:

يقول الشيخ رحمه الله: (وقد ذكر الحافظ ابن القيم في «الصواعق المرسَلة» اثنين وأربعين وجهاً في بطلان ذلك؛ منها:

---

(١) كذا ذكره الشيخ السندي، وهو كذلك في فتح الباري: لابن حجر (١٣/٤٠٦)، وقد نقله الشيخ منه؛ إلا أن أهل التراجم ذكروه: أحمد بن أبي دُوَاد، بتقديم الواو على الألف على وزن فؤاد. وهو: أبو عبد الله أحمد بن فرج بن حرِيز الإيادي البصري، الجهمي، عدوّ أحمد بن حنبل، كان داعية إلى القول بخلق القرآن، وبسببه وفتياه ابتلي الإمام، فابتلاه الله بالفالج نحو أربعين سنة؛ وكان شاعراً بليغاً، مات سنة أربعين ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء: للذهبي: (١١/١٦٩-١٧١ برقم ٧١) ؛ وشذرات الذهب: لابن العماد: (٣/١٧٩).

(٢) سورة طه: (٥).

(٣) فتح الباري: لابن حجر: (١٣/٤٠٦).

(٤) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٥ مخطوط).

(٥) انظر: مختصر الصواعق المرسلة: للموصلي: (٣/٨٨٨).

الوجه الثالث:[1] ما قاله الخطابي في كتابه «شعار الدين»[2]: "وزعم بعضهم أن الاستواء هاهنا بمعنى الاستيلاء، ونزَع فيه إلى بيت مجهول لم يقله شاعر معروف يصِحُّ الاحتجاج بقوله، ولو كان الاستواء هاهنا بمعنى الاستيلاء لكان الكلامُ عديمَ الفائدة؛ لأن الله تعالى قد أحاط علمه وقدرته بكلِّ شيء وكلِّ قطر وبقعة من السماوات والأرض وتحت العرش، فما معنى تخصيص العرش بالذكر؟!

ثم إن الاستيلاء إنما يتحقق معناه عند المنع من الشيء، فإذا وقع الظفر به قيل: استولى عليه، فأيّ منع كان هناك حتى يوصف بالاستيلاء بعده؟ هذا لفظه وهو من أئمة اللغة).

وقول الإمام الخطابي رحمه الله هنا: (ونزَع فيه إلى بيتٍ مجهول) بيَّن الشيخ في حاشية الكتاب أن المقصود به هو قولُ بعضهم:

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ *** مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ أَوْ دَمٍ مهْرَاقِ[3]

وهو بيت مجهولٌ، كما وصفه الخطابي رحمه الله، فلا يصِحُّ الاحتجاجُ بمثله.

---

(١) هذا الذي ذكره الشيخ تحت هذا الوجه الثالث هو الوجه الرابع عند الموصلي في مختصر الصواعق: (٨٩١/٣).

(٢) وهو: «شعار الدين في أصول الدين»، وسماه شيخ الإسلام في درء التعارض: (٣١٦/٧) «شعار الدين وبراهين المسلمين» وهو من مصنفات الإمام الخطابي المفقودة، وقد نقل منه ابن تيمية في مواضع من كتبه، كما في بيان تلبيس الجهمية: (١٧٧/١ ، ٢٤٩) ودرء التعارض: (٣١٦/٧)، وكذا ابن القيم في تهذيب السنن: (١٠٨/٧) ؛ قاله حسن العلوي محقق كتاب مختصر الصواعق المرسلة: (٨٩٠/٣).

(٣) البيت ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٢٤١/١٢) ونسبه للأخطل النصراني، وقال: (والجهمية تستدل على الاستواء على العرش بأنه الاستيلاء ببيت الأخطل فيما مدح به بشر بن مروان ... وليس فيه دليل، فإن هذا استدلال باطل من وجوه كثيرة، وقد كان الأخطل نصرانيا) ؛ وانظر: مختصر الصواعق المرسلة: للموصلي: (٩١٢/٣).

ثم ذكر الشيخ أوجهاً أخرى لِبُطلانه، فقال: (**الوجه الخامس:** أن هذا تفسيرٌ لكلام الله بالرأي المجرد الذي لم يذهب إليه صاحبٌ ولا تابع، ولا قاله إمام من أئمة المسلمين، ولا أحد من أهل التفسير الذين يحكون أقوالَ السلف، وقد قال النبيُّ ﷺ : ﴿مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ﴾[١].

الوجه العاشر: أنّ الاستيلاء والاستواء لفظان متغايران ومعنيان مختلفان، فحمل أحدهما على الآخَرِ إن ادَّعى أنه بطريق الوضع فكذِبٌ ظاهر، فإن العربَ لم تضعْ لفظَ الاستواء للاستيلاء ألبتَّة.

وإن كان بطريق الاستعمال في لُغتهم فكذِبٌ أيضاً، فهذا نظمُهم ونثرهم شاهدٌ بخلاف ما قالوه، فتتبعْ لفظَ استوى ومواردَها في القرآن والسُّنة وكلامِ العرَب هل تجدها في موضع واحد بمعنى الاستيلاء؟ اللهم إلا أن يكون ذلك البَيت المصنوع المختَلَق[٢].

وإن كان بطريق المجاز القياسي فهو إنشاء من المتكلم بهذا الاستعمال، فلا يجوز أن يحمل عليه كلام غيره من الناس فضلاً عن كلام الله وكلام رسول ﷺ .

الوجه الخامس عشر: أنَّ الأشعريَّ حكى إجماعَ أهلِ السُّنة[٣] على بُطلان تفسير الاستواء بالاستيلاء.

الوجه السابع والعشرون: أنّ أعلَمَ الخلق به قد أطلق عليه أنه فوق عرشه -كما في الأحاديث الآتية- وهذه الفوقية هو تفسير الاستواء المذكور في القرآن والسنة)[٤]

---

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي في جامعه: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في الذي يفسِّر القرآن برأْيه (ص٦٦٠ برقم ٢٩٥١) وقال: هذا حديث حسن. وضعفه الألباني في تحقيقه على مشكاة المصابيح: (٧٩/١ برقم ٢٣٤) ؛ وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة: له: (٢٦٥/٤ برقم ١٧٨٣).

(٢) يعني البيت المذكور سابقاً المنسوب إلى الأخطل.

(٣) هكذا في مختصر الصواعق المرسلة، ووقع في المرجع: (حكى إجماع أهل التفسير).

(٤) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٥ مخطوط).

فهذه هي الأوجه المختارة التي ساقها الشيخ مختصرة من كتاب «مختصر الصَّواعق المرسَلة» لبطلان تأويل الاستواء بمعنى الاستيلاء، ومفادها أن تأويل استوى بمعنى استولى لم يسنده دليل من اللغة إلّا كلام مجاهيل لا يقوم مقامَ الحُجَّة، وقد اتفقَ أهل السُّنة على بُطلانه، بل هو تفسير بالرأي المجرد عن الدليل، ما قاله صحابي ولا تابعي، ولا إمام يؤخذ عن مثله، مع كون هذا المعنى خلافاً لشأن الرب سبحانه وتعالى، إلى غير ذلك من أوجه بطلان هذا التأويل الفاسد، المتضمن للتحريف والتبديل.

ثم ذكر الشيخ رحمه الله تعالى مثالاً آخَر لتأويلِهُمُ الفاسد، وهو أنهم حرَّفوا قول الله تعالى في سورة طه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[1] فجَعلوا حرْفَ «على» في هذه الآية الكريمة فِعلاً، لِيَصرِفوها عما دلَّتْ عليه من صفة الاستواء.

يقول الشيخ في بيان ذلك: (والبعض أوَّلَ في الآية الرابعة: أنْ جعل «على» فعلاً، والفاعلَ: «الرحمنُ» ، وجعل «العرش» فاعلاً لـــ«استوى»)[2].

وهو تأويل باطل، وتحريف، وانحراف عن قراءة القرَّاء؛ وقد استهلَّ الردَّ على هذا الشيخُ بذكر قول الإمام الزركشي[3] رحمه الله تعالى في ردِّ هذا التأويل

---

(١) سورة طه: (٥).

(٢) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٦ مخطوط).

(٣) الزركشي هو: الفقيه الأصولي بدر الدِّين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله المِصري؛ أخذ عن الشيخين جمال الدِّين الإسنوي، وسراج الدين البُبقيني؛ من تصانيفه: «تكملة شرح المنهاج» للإسنوي، وكتاب «الروضة»؛رحل إلى دمشق وسمع من علمائها منهم ابن كثير؛ توفي بمصر سنة أربع وتسعين وسبع مائة. انظر: شذرات الذهب: لابن العماد: (٨/٧٢-٧٣) ؛ وفتح المبين في طبقات الأصوليين: لعبد الله المراغي: (٢/٢٠٩).

حيث قال: (ورُدَّ بوجهَين:

أحدهما: أنه جعل الصِّفةَ فعلاً، ومصاحِفُ أهلِ الشام والعِراق والحجاز قاطعةٌ بأنَّ «على» هنا حرفٌ، ولو كان فعلاً لَكتبوها باللام ألف؛ كقوله: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[1].

والثاني: أنه رفعَ «العرش» ، ولم يرفعْهُ أحدٌ من القُرَّاء)[2].

ثم أعقبهما الشيخ بوجهٍ آخر في ردِّ ذلك التأويل بعد ذكره لهذين الوجهين، فقال: (**الوجه الثالث:** يكون ذلك خلافاً للآية الأخرى التي فيها ذكر الاستواء إلى السماء، وهي:

١. قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[3].

٢. وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾[4].

وقد نُقل قول أبي العالية من «صحيح البخاري» في ذلك أنه بمعنى: ارتفَعَ[5]؛ وفي مختصَر «الصَّواعق المرسلة»: "وهذا بمعنى العُلو والارتفاع بإجماع السلف"[6]؛

ويَكتب الإمام البغوي في تفسير «معالم التنزيل»: "وقال ابن عباس وأكثر مفسِّري السلف: أي ارتفع إلى السماء"[7]؛

---

(١) سورة المؤمنون: (٩١).

(٢) البرهان في علوم القرآن: للزركشي: (٨١/٢).

(٣) سورة البقرة: (٢٩).

(٤) سورة فصلت: (١١).

(٥) انظر من هذه الرسالة: هذا المبحث.

(٦) مختصر الصواعق المرسلة: للموصلي: (٨٨٩/٣).

(٧) معالم التنزيل: للبغوي: (٧٨/١).

ويقول الإمام ابن جرير في تفسير «جامع البيان»: "وأولى المعاني بقولِ الله جلَّ ثناؤه: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ ﴾[1]: عَلا عليهنَّ وارتفع، فدبَّرهُنّ بقدرته، وخلقهُنَّ سبعَ سماوات.

والعجبُ ممن أنكر المعنى المفهومَ من كلام العرب في تأويل قول الله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ الذي هو بمعنى العُلوِّ والارتفاع هرَباً عند نفسه من أن يلزَمَه بزعمه -إذا تأوَّله بمعناه المفهوم كذلك- أن يكونَ إنما عَلا وارتفعَ بعد أنْ كان تحتَها، إلى أنْ تأَوَّله بالمجهول من تأويلِه المستَنْكَر، ثم لم يَنْجُ مما هرَبَ منه.

فيقال له: أزعَمْتَ[2] أنَّ تأويل قوله: ﴿ ٱسْتَوَىٰٓ ﴾ أقْبَل، أفكانَ مدْبِراً عن السماء فأقبلَ إليها؟

فإنْ زعمَ أنَّ ذلك ليس بإقبالِ فعلٍ ولكنه إقبالُ تدبيرٍ، قيل له: فكذلك فقُلْ: عَلا عليها علوَّ مُلكٍ وسُلطانٍ لا علوَّ انتقالٍ وزَوال. ثم لنْ يقولَ في شيء من ذلك قولاً إلا أُلزِم في الآخَر مثلَه.

ولولا أنّا كرِهنا إطالةَ الكتاب بما ليس من جنسه لأنبأْنا عن فسادِ قولِ كلِّ قائلٍ قال في ذلك قولاً، لِقولِ أهل الحقِّ فيه مخالِفاً، وفيما بيَّنّا منه ما يُشرِفُ بذي الفَهم على ما فيه له الكفايةُ إن شاء الله ..."[3])[4] إلى آخر ما نقله الشيخ السندي عنه.

وكلُّ ذلك يدلُّ على أنَّ هذا التأويلَ الذي انجرف إليه هؤلاء في الآية ليس هو إلا التحريف فيها لفظاً ومعنًى؛ أما التحريف اللفظي فهو واضح فيها، حيث جعلوا حرف «على» فعلاً وهو حرفٌ، وجعلوا «العرش» فاعلاً لــ «استوى»، ورفعوه، فخالفوا بذلك ما اتَّفقَ عليه القرَّاءُ من عدم رفعه، كما تقدم.

---

(١) سورة البقرة: (٢٩).

(٢) في المرجع: (زعمتَ) من غير همزة استفهام، والتصويب من المصدر.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري: (١/٤٥٧-٤٥٨).

(٤) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٦ مخطوط).

وأما تحريفهم لها معنىً فإنهم صرَفوا الاستواء المذكور فيها إلى غير معناه الذي هو العُلوُّوالارتفاع، فكانوا محرِّفين لها عمَّا دلَّتْ عليه من الصفة، وتأويلُهمُ الاستواءَ بذلك يوقع في القرآن اختلافاً، ويكون مخالفاً للآيات الأخرى الدالة على صفة الاستواء بمعنى العلو والارتفاع كما فسَّرها سلفُ هذه الأمة، وليس في القرآن اختلاف، كما قال الله عزو وجلّ في سورة النساء: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾(1).

فتبيَّن من ذلكم كُلِّه أنَّ القولَ الحقّ في معنى «استوى» الوارِدِ في القرآن الذي أُنزل بلسان عربيٍّ مبين بمعنى: العُلوّ والارتفاع، لا بمعنى: استولى، وهذا الذي قرَّره الشيخ السندي هنا هو الذي عليه مذهب أهل السنة والجماعة سلَفاً وخلفاً، رحمهم الله تعالى أجمعين.

- **استدلاله على هذه الصفة:**

استدلَّ الشيخ السندي رحمه الله تعالى على صفة الاستواء بنصوص القرآن الكريم والسُّنة النبويَّة، وهي نصوصٌ كثيرة أفرادُها تدلُّ دلالةً قطعية على ثبوت هذه الصفة، فضلاً عن مجموعها.

أولاً- استدلاله من القرآن الكريم:

أثبت الشيخ رحمه الله هذه الصفة الكريمة من القرآن الكريم بعِدَّة آيات، منها الآيات السَّبْع التي نصَّتْ على استواء الله تعالى على عرشه وعلوِّه بائناً عن خلقه في جلاله وعظمته.

يقول الشيخ في كتابه «التوحيد الخالص» مستدِلاً على صحة عقيدة السلف الصالح أهلِ السُّنة في إثباتهم صفةَ عُلوِّ الباري تعالى واستوائِه على عرشه وأنهم قدْ

---

(1) سورة النساء: (٨٢).

أجمعوا على ذلك: (قد شهد القرآن والسُّنة على صحة هذا الاعتقاد؛ وفي آيِ القرآن المجيد أنواعٌ عديدة مِن الأدلة).

ثم بدأ يُورِد تلك الأنواع من الآيات الحكيمات، واستهَلَّها بالنصوص التي دلَّتْ صراحةً على ثبوت صفة الاستواء على العرش والعُلوّ، فقال: (الآيات التي فيها ذكر علو الله سبحانه وتعالى واستوائه على العرش صراحةً، وهي:

١. ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[1]

٢. ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[2]

٣. ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[3]

٤. ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾[4]

٥. ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩ ﴾[5]

٦. ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[6]

٧. ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[7] ..)[8]

---

(١) سورة الأعراف: (٥٤).

(٢) سورة يونس: (٣).

(٣) سورة الرعد: (٢).

(٤) سورة طه: (٥).

(٥) سورة الفرقان: (٥٩).

(٦) سورة السجدة: (٤).

(٧) سورة الحديد: (٤) ؛ وقد وقعت زيادة (وما بينهما) في هذه الآية في المرجع، وهو خطأ.

(٨) انظر: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٤-٥ مخطوط).

كما استدل الشيخ رحمه الله كذلك بالآيتَين اللَّتَين فيهما ذِكرُ استواءِ الرَّبِّ سبحانه إلى السماء[1]، وهما:

١. قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[2].

٢. وقوله جلَّ شأنه في سورة فُصِّلتْ: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾[3].

وقد تقدَّمَ حكاية الشيخ لأقوال السلَف الصالح في الاستدلال بهاتَين الآيتين الكريمتين على ثبوت صفة الاستواء لله تعالى، فهذه بمجموعها تسعٌ من الآيات القرآنية التي استدل بها الشيخ على ثبوت صفة استواء الرَّب تعالى استواءً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته.

ثانياً- استدلالُه منَ السُّنة النبويَّة:

استدل الشيخ السندي -كاستدلاله من القرآن- من السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام، فقد ذكر الشيخ في «التوحيد الخالص» عدداً من الأحاديثِ التي تدلُّ على صفة استواء الرَّحمن وعلوِّه على عرشه، أكثرها أحاديثُ صِحاحٌ، وبعضها حِسان، ومنها ما هو ضعيف لكنه يتقوى بما ورد في ذلك من الأحاديث الصحيحة والأحاديثِ الحَسَنة، أما ما كان ضعفه شديداً في نظره فإنه يتجنَّبه ولا يورده كما أشار إلى ذلك كلِّه الشيخ نفسه عند ذكره لهذه الروايات[4]، فمن تلك الأحاديث التي نقلها في الاستدلال بها على هذه الصفة الكريمة ما يلي:

---

(١) انظر: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٦ مخطوط).

(٢) سورة البقرة: (٢٩).

(٣) سورة فصلت: (١١).

(٤) انظر: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٦٨-٦٩ مخطوط).

١. أخرج الإمام البخاري رحمه الله عن عمران بن حُصين[1] رضي الله عنهما قالَ، قالَ رسولُ اللَّه ﷺ : ﴿اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ.. قَالُوا: بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، قَالَ: اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ.. قَالُوا قَدْ بَشَّرْتَنَا فَاقْضِ لَنَا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ كَيْفَ كَانَ؟ فَقَالَ: كَانَ اللَّهُ عَلَى العَرْشِ، وَكَانَ قَبْلَ كُلِّ شَيْء، وَكَتَبَ فِي اللَّوْحِ كُلَّ شَيْءٍ يَكونُ﴾[2]

وقد أخرجه أبو القاسم إسماعيل الأصبهاني في «الحُجّة» تحت عنوان: "بابٌ في بيان استواء الله عزَّ وجلَّ على العرش"[3].

٢. وأخرج الإمام الذهبي رحمه الله عن أنس ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ :

﴿أَتَانِي جِبْرائيل ؑ وَفِي يَده مرْآة بَيْضَاءُ فِيهَا نُكْتَة سَوْدَاء، فَقلتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرائيلُ؟ قَالَ: هَذِه الْجُمُعَة يَعْرِضُهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ عَزَّ وجَلَّ؛ لِتَكُونَ لَكَ عِيدًا وَلِقَوْمِكَ مِنْ بَعْدِكَ، تَكُونُ أَنْتَ الأَوَّلُ، وَتَكُونُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى مِنْ بَعْدِكَ، فَقُلتُ: وَمَا لَنَا فِيهَا؟ قَالَ: لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ، فِيهَا سَاعَةٌ مَنْ دَعَا اللهَ فِيهَا بِخَيْرٍ، هُوَ قَسْمٌ لَهُ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، أَوْ لَيْسَ لَهُ قَسْم إِلا ذخرَ لَهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ.

(١) عمران بن حصين هو: أبو نُجَيْد، بن عُبَيْد بن عَمْرو الخُزاعي الكَعْبي. أسلم مع أبي هريرة عام خيبر؛ روى عنه مطرِّف بن الشِّخِّير، وأخوه، وجماعة من تابعي أهل البصرة والكوفة؛ بعثه عمر إلى البصرة ليفقّههم، وكانت الملائكة تسلِّم عليه؛ سكن البصرة إلى أن مات بها سنة اثنتين وخمسين. انظر: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: للذهبي: (٩٢/٢ برقم ٤٢٦١) ؛ والاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البر: (ص٥٢١ برقم ١٨٦٨).

(٢) أخرجه الذهبي في العلو للعلي الغفار: (ص٦٥-٦٦ برقم ١٣١) وقال: "هذا حديث صحيح قد خرجه البخاري في مواضع" ؛ وأخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء (١٢٤/٩ برقم ٧٤١٨) ، وكتاب المغازي، باب وفد بني تميم، وباب قدوم الأشعريين وأهل اليمن (١٦٨/٥ ، ١٧٣ برقم ٤٣٦٥ ، ٤٣٨٦) وألفاظه عند البخاري غير الألفاظ عند الذهبي، وهي كلها متقاربة، وما نقله الشيخ السندي هنا هو من لفظ الذهبي.

(٣) انظر: الحجة في بيان المحجة: للأصبهاني: (٨١/٢ ، ٨٥).

قُلْتُ: مَا هَذِهِ النَّكْتَةُ السَّوْدَاءُ فِيهَا؟ قَالَ: هِيَ السَّاعَةُ تَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ سَيِّدُ الأَيَّامِ عِنْدَنَا، وَنَحْنُ نَدْعُوهُ يَوْمَ الْمَزِيدِ فِي الآخِرَةِ. قُلْتُ: وَمَا تَدعوهُ يَوْمَ الْمَزِيدِ؟ قَالَ: إنَّ رَبَّكَ اتَّخَذَ فِي الْجَنَّةِ وَادِيًا أَفْيَحَ مِنْ مِسْكٍ أَبْيَضَ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ نَزَلَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ عِلِّيِّينَ عَلَى كُرْسِيِّهِ، ثُمَّ حَفَّ الْكُرْسِيَّ بِمَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّونَ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَيْهَا، ثُمَّ حَفَّ الْمَنَابِرَ بِكَرَاسِيٍّ مِنْ ذَهَبٍ، ثُمَّ جَاءَ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ أَهْلُ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَى الْكَثِيبِ[1].

فَيَتَجَلَّى لَهُمْ رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّى يَنْظُرُوا إِلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الَّذِي صَدَقْتُكُمْ وَعْدِي، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وهَذَا محلُّ كَرَامَتِي، فَيَسْأَلُونَهُ وَيَسْأَلُونَهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ رَغْبَتُهُمْ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ إِلَى أَوَانِ مُنْصَرَفِ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ يَصْعَدُ عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَيَصْعَدُ مَعَهُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءِ، وَيَرْفَعُ أَهْلُ الْغُرَفِ إِلَى غُرَفِهِمْ، دُرَّةً بَيْضَاءَ لا فَصْمَ[2] فِيهَا وَلا نَظْمَ، أَوْ يَاقُوتَةً حَمْرَاءَ، أَوْ زَبَرْجَدَةً[3] خَضْرَاءَ فِيهَا غُرَفُهَا وَأَبْوَابُهَا مُطَّرِدَةٌ، فِيهَا أَنْهَارُهَا مُتَدَلِّلَةٌ، فِيهَا ثِمَارُهَا، فِيهَا أَزْوَاجُهَا وَخَدَمُهَا، فَلَيْسُوا إِلَى شَيْءٍ أَحْوَجَ مِنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ؛ لِيَزْدَادُوا فِيهِ مِن كَرَامَتِه عَزَّ وجَلَّ، وَلِيَزْدَادُوا فِيهِ نَظَرًا إِلَى وَجْهِهِ، فَلِذَلِكَ دُعِيَ يَوْمَ الْمَزِيدِ ﴾[4].

---

(١) الكثيب: الرمل المستطيل المحدودب. النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير: (١٥٢/٤).

(٢) الفصم: الصدع الذي لم يبن؛ قاله ابن أبي الدنيا في صفة الجنة: (ص٩٥).

(٣) زبرجدة: جوهرة من الجواهر المعروفة. انظر: فيض القدير: للمناوي: (٤٦٤/٢).

(٤) أخرجه الذهبي في العلو للعلي الغفار: (ص٣٠-٣١ برقم ٥٥) ؛ والدارمي مختصراً في الرد على بشر المريسي: (ص٧٣) ؛ وابن أبي الدنيا في صفة الجنة: (ص٩٤ برقم ٩١) ؛ وحسَّنه لغيره الألبانيُّ في صحيح الترغيب والترهيب (٥٢٥/٣-٥٢٦ برقم ٣٧٦١): وقال "رواه ابن أبي الدنيا، والطبراني في الأوسط بإسنادين أحدهما جيد قوي، وأبو يعلى مختصراً ورواته رواة الصحيح".

قال الشيخ السندي نقلاً عن الإمام الذهبي أنه قال: (هذا حديثٌ مشهورٌ وافرُ الطُّرُق أخرجه الإمام عبد الله بن أحمد[١] في كتاب «السنة» له[٢])[٣].

ثم قال: (وساقه الذهبي من طُرُق، وفي بعضها: ﴿فَيَقُوْلُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا رَبُّكُمْ، قَدْ صَدَقْتُكُمْ وَعْدِيْ، فَسَلُوْنِي أعْطِكُمْ. فَيَقُوْلُونَ: رَبَّنا نَسأَلُكَ الرِّضَا. فَيَقولُ: رضِيتُ عَنْكُمْ، وَلَكُمْ مَا شِئْتُمْ، وَلَدَيَّ مَزِيْدٌ. فَهُمْ يُحِبُّونَ يَوْمَ الْجُمعَةِ لِمَا يُعطِيْهِمْ رَبُّهُمْ مِنَ الْخَيْر، وَهُوَ الْيَومُ الذِي اسْتَوَى فِيهِ رَبُّكَ عَلَى الْعَرْشِ ... الحديث﴾[٤] ..)[٥].

فهذه الألفاظ الأخيرة التي نقلها الشيخ عن الإمام الذهبي من كتابه «العلو» فيها التنصيص على استواء الرَّب تعالى على العرش.

٣. وأخرج النسائي[٦] رحمه الله في تفسير عن أبي هريرة ﷺ ﴿أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَخَذَ بِيَدِي فقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ..! إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ،

---

(١) عبد الله بن أحمد: هو ابن محمد بن حنبل الشيباني، الحافظ، الناقد، محدِّث بغداد؛ روى عن أبيه وعن أبي خيثمة؛ وخلقٍ كثير؛ وحدَّث عنه النسائي والبغوي، وآخرون؛ ومن شيوخه أحمد الدورقي، وابن خِراش وغيرهما؛ قال الخطيب: كان ثقة ثبتاً فهماً؛ توفي سنة تسعين ومائتين؛ له كتاب: «الجمل»، و«الرد على الجهمية». انظر: سير أعلام النبلاء: للذهبي: (١٣/ ٥١٦-٥٢٦ برقم ٢٥٧).

(٢) انظر: السنة: لعبد الله بن الإمام أحمد: (١/٢٥٠-٢٥١ برقم ٤٦٠).

(٣) العلو للعلي الغفار: للذهبي: (ص٣١).

(٤) أخرجه الذهبي في العلو للعلي الغفار: (ص٣٢-٣٣ برقم ٥٧) وقال فيه: "وهذه طرق يعضد بعضها بعضاً".

(٥) انظر: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٥٦-٥٧ مخطوط).

(٦) النسائي هو: أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائي، نسبة إلى نسأ مدينة بخراسان؛ المحدث الحافظ، صاحب السنن الكبرى والصغرى، وله كتاب «الخصائص» في فضل علي بن أبي طالب ﷺ ، و«الضعفاء والمتروكون» وغير ذلك ؛ توفي سنة ثلاث وثلاث مائة. انظر: وفيات الأعيان: لابن خلكان: (١/٧٧-٧٨ برقم ٢٩) ؛ ومعجم المؤلفين: لعمر رضا كحالة: (١/١٥١ برقم ١١٣٧) ؛ الأعلام: للزركلي: (١/١٧١).

ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَوْمَ السَّابِعِ، وَخَلَقَ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَالْجِبَالَ يَوْمَ الأَحَدِ، وَالشَّجَرَ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ، وَالشَّرَّ يَوْمَ الثُّلاَثَاءِ، وَالنُّورَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ، وَالدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَآدَمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ سَاعَةِ النَّهَارِ بَعْدَ الْعَصْرِ، خَلَقَهُ مِنْ أَدِيمِ الأَرْضِ[(١)] بِأَحْمَرِهَا وَأَسْوَدِهَا، وَطَيِّبِهَا وَخَبِيثِهَا، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ مِنْ آدَمَ الطَّيِّبَ وَالْخَبِيثَ﴾[(٢)].

ففي أوّله إثبات أن الله تبارك وتعالى استوى على العرش في اليوم السابع بعد خلقه السماوات والأرضين وما بينهما في ستة أيام، فوافق في معناه الآيات التي سبق ذكرها في أدلة القرآن في استواء الله تعالى على العرش بعد خلقه السماوات والأرض.

٤. وأخرج الحاكم[(٣)] عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَنَّ الْيَهُودَ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ ، فَسَأَلَتْهُ عَنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَقَالَ: خلق الله الْأَرْضَ يَوْمَ الْأَحَدِ والِاثْنَيْنِ،

---

(١) أديم الأرض: هو صعيدها. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: لعلي القاري: (٤٨٣/١).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى: كتاب التفسير، تفسير سورة السجدة (٢١٣/١٠-٢١٤ برقم ١١٣٢٨) كما أورده الشيخ، سوى قوله: ﴿وَالشَّرَّ يَوْمَ الثُّلاَثَاءِ﴾ ففيه بدلَه: ﴿وَالتِّقْنَ يَوْمَ الثُّلاَثَاءِ﴾ ، وكذلك سوى قوله: ﴿وَآدَمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ سَاعَةِ النَّهَارِ... ﴾؛ فقال فيه بدلَه: ﴿وَآدَمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ بَعْدَ الْعَصْرِ، وخَلَقَ أَدِيمَ الأَرْضِ؛ أَحْمَرَهَا وَأَسْوَدَهَا، وَطَيِّبَهَا وَخَبِيثَهَا﴾ ؛ كما رواه مسلم في صحيحه: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب ابتداء الخلق وخلْق آدم عليه السلام (١٢٨٥/٢ برقم ٢٧٨٩) ؛ وأحمد في مسنده: مسند أبي هريرة (٨٢/١٤ برقم ٨٣٤) كلاهما بألفاظ مختلفة متقاربة. والصحيح في هذا الحديث وقفه، قال ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٢٣٥/١٧-٢٣٦): (وأما الحديث الذي رواه مسلم في قوله: ﴿خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ﴾ فهو حديث معلول قدح فيه أئمة الحديث كالبخاري وغيره، قال البخاري: الصحيح أنه موقوف على كعب) فلا يصح رفعه.

(٣) الحاكم هو: أبو عبد الله محمّد بن عبد الله بن محمّد ابن البيع النيسابوري، الحافظ الكبير، حدَّث عن الأصم وابن السماك، وطبقتهما؛ ثقة حجة، كان فيه تشيُّع؛ أخذ عنه البيهقي، وأبو إسحاق المُزكّي، وهما من شيوخه، وخلْق؛ من مصنفاته الكثيرة: «المستدرك على الصحيحين»، و«معرفة علوم الحديث»؛ توفي سنة خمس وأربع مائة. انظر: شذارت الذهب: لابن العماد:=

وَخَلَقَ الْجِبَالَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ الشَّجَرَ وَالْمَاءَ وَالْمَدَائِنَ وَالْعُمْرَانَ وَالْخَرَابَ، قالَ اللهُ تَعالى: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾(١) وَخَلَقَ يَوْمَ الْخَمِيسِ السَّمَاءَ، وَخَلَقَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ النُّجُومَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْمَلَائِكَةَ إِلَى ثَلَاثِ ساعات بقين، فَخَلَقَ فِي أَوَّلِ سَاعَةٍ الآجَالَ، وَفِي الثَّانِيَةِ أَلْقَى الْآفَةَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ، وَفِي الثَّالِثَةِ خَلَقَ آدَمَ وَأَسْكَنَهُ الْجَنَّةَ وَأَمَرَ إِبْلِيسَ بِالسُّجُودِ لَهُ وَأَخْرَجَهُ مِنْهَا فِي آخِرِ سَاعَةٍ.

ثُمَّ قَالَتِ الْيَهُودُ: ثُمَّ مَاذَا يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ. قَالُوا: قَدْ أَصَبْتَ لَوْ أَتْمَمْتَ، قَالُوا: ثُمَّ اسْتَرَاحَ. فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ غَضَباً شَدِيْداً، فَنَزَلَتْ: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾(٢).. ﴾(٣).

وقد ذكر الشيخ السندي رحمه الله الحديثين المذكورين آنفاً في سياق سرْد الأحاديث الدَّالَّة على صفة استواء الله تعالى وعلوِّه، ثم قال في بيان أوجُهِ الاستدلال بهذه الأحاديث في الوجه الثاني والثلاثين بعد المائة مشيراً إلى هذَين الحديث المذكورين: (في بعض الأحاديث ذكر لصفة الاستواء على العرش لله تعالى)(٤).

=(٥/٣٣-٣٥) ؛ وسير أعلام النبلاء: للذهبي: (١٧/١٦٢-١٧٧ برقم ١٠٠) ؛ والبداية والنهاية: لابن كثير: (١١/٥٦٠-٥٦٢).

(١) سورة فصلت: (٩-١٠).

(٢) سورة ق: (٣٨-٣٩).

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه مع التلخيص للذهبي: كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر آدم عليه السلام (٢/٥٤٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وخالفه الذهبي بقوله: "قلتُ: أبو سعيد البقال قال ابن معين: لا يكتب حديثه". وأخرجه أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ: (ص٢٢٣-٢٢٤) ؛ وأبو الشيخ في العظمة: (٤/١٣٦١ برقم ٨٧٨) ؛ وهو حديث منكر مرسَل، كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة: للألباني: (١٢/٩٤٥ برقم ٥٩٧٣) ؛ واستغربه ابن كثير في تفسيره (٧/١٦٨) فقال: هذا الحديث فيه غرابة.

(٤) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص ٦٥ ، ٧٩ مخطوط).

٥. ويقول الشيخ رحمه الله تعالى: (وأخرج أبو بكر الخلال[١] في كتاب «السُّنة» عن قتادة بن النعمان[٢] سمع النبيَّ ﷺ يقول: ﴿لَمَّا فَرَغَ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ﴾[٣] رواته ثقاتٌ)[٤].

وغير ذلك من الأحاديث التي ذكرها الشيخ في إثبات هذه الصفة الكريمة، فالنصوص المثبتة لها قد نقلها الخَلَف عن السَّلَف، و لم يتعرَّضوا لِمَا ثبتَ منها بردٍّ ولا تأويل، بل أنكروا على من تأوّلها، مع اجتماعهم على أن نعوتَ الرَّب تعالى لا تُشبه نعوتَ المخلوقين، وأن الله ليس كمِثْلِه شيء.[٥]

---

(١) أبو بكر الخلال هو: أحمد بن محمد بن هارون؛ سمع الحسن بن عَرَفة، وسَعدان بن نصر، ومن في طبقتهم وبعدهم؛ روى عنه محمد بن المظفر، وغيره؛ وسمع جماعةً مسائلَ الإمامِ أحمد، منهم ابناه: صالح وعبدالله؛ وله التصانيف الدائرة، منها: «الجامع»، و«العلل»؛ مات في سنة إحدى عشرة وثلاث مائة. انظر: تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي: (٣٠٠/٦ برقم ٢٧٩٢) ؛ وطبقات الحنابلة: للقاضي أبي يعلى: (٢٣/٣ برقم ٥٨٢).

(٢) قتادة هو: بن النعمان بن زيد الأوسيّ ثم الظفريّ، أخوه لأمه أبو سعيد الخدري، أبو عبد الله، وقيل أبو عثمان؛ له صحبة، وقد شهد العقبة وبدراً وأحداً وغيرها من المشاهد؛ ذهبت عينه فردَّها النبي ﷺ بإذن الله؛ روى عن النبي ﷺ أحاديث؛ وروى عنه : محمود بن لبيد، وعمر ابنه، وآخرون؛ مات في خلافة عمر سنة ثلاث وعشرين. انظر: الإصابة: لابن حجر: (٢٧/٩-٣١ برقم ٧١٠٩) ؛ وأسد الغابة: (٣٧٠/٤-٣٧٢ برقم ٤٢٧٧).

(٣) أخرجه الخلال في السنة كما عزاه إليه ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٦٨) فقال: وروى الخلال في كتاب السنة بإسناد صحيح على شرط البخاري. وقال الذهبي في العلو (ص٦٣ برقم ١١٩): رواته ثقات، رواه الخلال في كتاب السنة له. وكذلك عزاه إليه الشيخ السندي هنا تبعاً للذهبي. و لم أجده في المطبوع من كتاب السنة للخلال، ولعله في المفقود منه.

(٤) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٦٢ مخطوط).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء: للذهبي: (٣٧٦/١١).

- **ذِكره لعقيدة أهل السنة في إثبات صفة الاستواء وحكايتُه إجماعَهم على ذلك:**

سُئل الشيخ رحمه الله تعالى في سؤال وُجِّه إليه من قِبل بعض الأشخاص عن معتقدات أنواع من الناس في ذات الله تعالى وصفاته، سأل فيه السائل عمن يعتقد بالحلول والاتحاد، والقائلين فيهما بالعموم أو الخصوص؛ وقد ردَّ الشيخ على هذا المعتقَد رداً وافِياً شافياً، وبيَّن زَيفَه وأبطل حَيْفَه، وسيأتي ذلك كلُّه بتفاصيله في مبحثٍ مستقِلٍّ، إنْ شاء الله تعالى.

والمقصود هنا هو جزء من سؤاله عمَّن يقول من العلماء: إنَّ الكائنات كلها مخلوقة لله تعالى، وهو منفصل عنها بذاته، وهو بنفسه وذاته مستوٍ على العرش العظيم، وهو وراء الوراء؟

فأجاب الشيخ بإجابة كتابةً أسهب فيها وأطال، طُبعت في مجلد ضَخم، قال في مستَهلِّها عن هذا القول المورود في السؤال: (التشريح الأول للتوحيد هو الصحيح، وهذه هي عقيدة جميع أهل الإسلام في السلَف)[1]

ثم شرع الشيخ يورد أقوال السلف رحمهم الله في تقرير هذا الاعتقاد، أن الله تعالى مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، عالٍ بذاته وصفاته في عُلوِّه، فمما ذكرها الشيخ من تلك الأقوال والآثار[2]:

- قول الإمام الأوزاعي رحمه الله تعالى: ((كُنَّا والتَّابِعون متوافِرون نقول: إن الله – تعالى ذِكرُه– فوقَ عَرشِهِ، ونُؤمِنُ بما وردَتِ السُّنَّة بِهِ مِن صِفَاته[3] جلَّ وعَلاَ))[4].

---

(١) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٣ مخطوط).

(٢) ذكر الشيخ السندي هذه الآثار في كتابه: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٣ وما بعدها مخطوط).

(٣) في المرجع: (ونؤمن بما وردت السنة به من صفاتٍ جلّ وعلا) والتصويب من المصدر.

(٤) سبق تخريجه في القاعدة الأولى من المبحث الأول من هذا الفصل.

– وقولُ الإمامَين الرَّازِيَين أبي زُرعة وأبي حَاتم رحمهما الله تعالى حين سُئلا عن مذهب أهل السُّنة في أصول الدِّين وما أدركَا عليه العلماءَ في جميع الأمصار وما يعتقدانِ من ذلك؛ فقالا: ((أَدْرَكْنا العُلماءَ في جميعِ الأَمْصارِ حِجازاً وعِراقاً ومصراً وشَاماً وَيمناً؛ فكانَ مَذْهبُهم: أنَّ اللهَ تَباركَ وتعالى علَى عَرْشِهِ، بائنٌ مِّنْ خلْقِهِ، كما وَصف نفسَه بلا كيف،﴿ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾[1]، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[2]))[3].

– وقول الحافظ أبي نعيم[4] صاحب «حلية الأولياء» في كتاب «الاعتقاد» والذي ذكره الشيخ السندي نقلاً عن الذهبي أنه قال: ((طريقتُنا طريقةُ السَّلَف المتَّبعين للكتابِ والسُّنَّة وإجماع الأمة؛ ومِمَّا اعتقدوه: ... وأنَّ الأحاديثَ التي ثبتتْ في العَرْش، واستواء الله عليه يقولون بها، ويُثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل، وأن الله بائنٌ من خلقه، والخلقُ بائِنون منه، لا يَحُلُّ فيهم ولا يمتزِجُ بهم، وهو مستوٍ على عرشه في سمائه من دون أرضه))[5].

– وروى الإمام أبو عبد الله الحاكم في كتابه «معرفة علوم الحديث» بسنده عن الإمام ابن خزيمة رحمه الله أنه قال: (مَن لَم يُقِرَّ بأنَّ اللَّهَ تعالى على عرشِهِ قد استَوى فوقَ

(١) سورة الطلاق: (١٢).

(٢) سورة الشورى: (١١).

(٣) أخرجه الذهبي في العلو للعليّ الغفَّار: (ص١٨٨)، وصحَّحه الألباني في مختصر العلو: (ص٢٠٤).

(٤) أبو نعيم هو: أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، الحافظ المشهور، صدوق تكلم فيه بلا حجة، وهو صاحب كتاب «حلية الأولياء»، و«تاريخ أصبهان»؛ أخذ عنه الأفاضل، وانتفعوا؛ توفي سنة ثلاثين وأربع مائة بأصبهان. انظر: وفيات الأعيان: لابن خلكان: (١/٥١-٥٢ برقم ٣٣) ؛ وميزان الاعتدال في نقد الرجال: للذهبي: (١/١١١ برقم ٤٣٨) ؛ ولسان الميزان: لابن حجر العسقلاني: (١/٥٠٧ برقم ٥٩٠).

(٥) انظر: العلو: للذهبي: (ص٢٤٣ برقم٥٦١) ؛ ونقله ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية: (٥/٦٣).

سَبْعِ سماواتِهِ، فهو كافرٌ بربِّهِ يُسْتَتَاب، فإنْ تاب، وإلا ضُرِبتْ عُنقُه، وأُلْقِيَ على بعضِ المَزابلِ حيث لا يتأذَّى المسلمونَ والمُعاهدون[١] بنَتَنِ ريحِ جيفَتِهِ، وكان مالُهُ فَيئًا[٢] لا يَرِثُهُ أحدٌ مِن المسلِمِين، إِذِ المسلمُ لا يَرِثُ الكافِرَ كما قال ﷺ [٣])[٤].

فهذه الآثار التي ذكرها الشيخ رحمه الله كلها واضحة في دلالتها على إثبات أهل السنة والجماعة صفةَ الاستواء لله تعالى، والملاحَظ فيها جميعاً أنها تتضمن حكاية الإجماع على ذلك، وكأنَّ الشيخ تعمّد في هذا المقام إيراده لآثار السلف التي تضمنت -مع إثباتهم لصفة الإستواء- حكايةَ إجماعهم على ذلك، لِيَستدل بها على صحة ما ادعاه من إجماعهم.

وهكذا ذكر الشيخ السندي في كتابه «االتوحيد الخالص» عدداً من الآثار الأخرى عن السلَف في تقريرهم لهذا الاعتقاد، يوضح بذلك أن تصحيحه لهذا المذهب ليس ببِدْعٍ من القول الذي ابتدعه هو، بل ذاك اعتقادُ كافَّةِ السلَفِ وإجماعُهم عليه من دون خلاف، نقلتُها هنا كلَّها لو لا مخافة الإسهاب والإطالة.

---

(١) المعاهدون جمع معاهد: وهو الرجل من أهل دار الحرب يدخل إلى دار الإسلام بأمان، فيحرم على المسلمين قتله بلا خلاف بين أهل الإسلام، حتى يرجع إلى مأمنه. كذا قال الشوكاني في نيل الأوطار: (٢٩/١٣)؛ وانظر: غذاء الألباب: للسَّفاريني: (١٨٣/١).

(٢) الفيء هو: هو المال المأخوذ من المشركين بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب. انظر: النكت والعيون: للماوردي: (٥٠٣/٥).

(٣) روى البخاري في صحيحه: كتاب الحدود، باب لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم (١٥٦/٨ برقم ٦٧٦٤) ؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الفرائض (٧٥٧/٢ برقم ١٦١٤) كلاهما من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ﴿لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ﴾.

(٤) معرفة علوم الحديث: للحاكم النسابوري: (ص٨٤).

المبحث الحادي والعشرون
صِفَةُ الْعُلُوِّ

سبَقَ في المبحث السابق تقريرُ أهلِ السُّنة والجَماعة في استواء الرَّبِّ تبارك وتعالى على عرشه، وأنَّ هذا هو مذهبُهم سلَفاً وخلَفاً، لم يختلف في ذلك منهم أحد.

وهذا الذي قرَّروه من ذلك هو علوٌّ خاصٌّ للرَّب سبحانه وتعالى، وهو علوّه على العرش العظيم، وقد تبيَّن من خلال أدلة الكتاب والسنة أنه صفة ثابتةٌ له تعالى كما تليق بشأنه وعظمته.

أما عقْدُ الْمَبحَث هذا فهو في بيان وتقرير عقيدتهم في علوِّه تعالى العام على سائر خلقه من غير استثناء، فهو جلَّ ثناؤه وتقدَّستْ أسماؤه عالٍ على جميعِ الخلْق بذاته وصفاته، وقد قدّمتُ مبحثَ الاستواء على مبحث العلو؛ لأنَّ ثبوت استواء الله تعالى على عرشه في نفسه دليل من أنواع الأدلة التي دلَّت على ثبوت صفة العلُوِّ للباري سبحانه وتعالى، فهو من باب تقديم الخاصِّ على العام، لا سيما وقد استدلَّ الشيخ السندي رحمه الله بثبوت صفة الاستواء على العرش على ثبوت صفة العلو العام، وهو ظاهر كما سيأتي بيانه في الأدلة التي استدلَّ بها على صفة العلُو.

وقد بيَّن العلماء الفرقَ بين الصفتين، بأن الاستواء صفة فعلية تتعلق بالمشيئة، تقتضي علو الله على عرشه، ولا يمكن إثباته إلا بالنصّ، وأما العلو فهو علو عام على العرش وغيره من المخلوقات الصغيرة والكبيرة، وهو وصف لذاته العلية لازم له تعالى شأنه، فهو سبحانه متصف به أزلاً وأبداً، وأنَّ العلوَّ يَثبُت بدلالة السَّمْع، ويمكن كذلك معرفته بدليل الفطرة والعقل.[1]

وقد تكلَّم السلَفُ في إثباتِ هذا العُلوِّ العام مع كلامهم في إثبات ذلك العُلوِّ الخاص، كما فعلَ الإمام أبو سعيد الدارمي رحمه الله تعالى، حيثُ قال مبوِّباً على

---

(١) انظر: لمعرفة هذه الفروق المذكورة: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٥/٥٢٣ ، ١٢٢).

هَاتينِ الصِّفتَينِ العظيمَتَين بقوله: (باب استواء الرَّبِّ تبارك وتعالى على العرش، وارتفاعه إلى السماء)[1] ثمَّ استدلَّ تحت هذا التبويب على النوعَينِ من علوِّ الباري تعالى؛ وكذلك فعلَ فعلَتَه الإمامُ ابن خزيمةَ رحمه الله تعالى في «كتاب التوحيد».[2]

فالله سبحانه له العلو المطلق، وهو عالٍ بذاته على جميع خلقه، وهو عالٍ بصفاته وأفعاله، ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته ولا أفعاله.

وقد وردت أنواع كثيرة لا تُحصى تدل على علو الله تعالى، كرَفْع عيسى عليه السلام والعملِ الصالح إليه، وعروج الملائكة والرُّوح إليه، وصعودِ الكلِمِ الطيِّب إليه، والتنصيصِ على كونه تعالى في السَّماء، وأنَّ الكتابَ الذي هو القرآن الكريم منَزَّلٌ منه لَمِن أعظمِ البراهين على كونه في العلوّ فوقَ عباده وجميعِ خلقه، وغير ذلك؛ وكل ذلك مذكور في القرآن الكريم.

وكذلك دَلَّت الأحاديثُ بدلالاتها المنوَّعة والقطعِيَّة على ثبوت صفة العلو للعَليِّ الغفَّار، وهي -كأدِلة القرآن- كثيرةٌ وافرة يَصعُبُ استقصاؤها وحصرُ أفرادها، ذكرَها أهلُ السنة في كثير من مصنَّفاتِهم ومؤلفاتهم.[3]

وسيأتي ذكر شيء منها في تقرير الشيخ السندي قريباً.

وقد أجمعَ أهلُ السنة والجماعة قاطبةً من غير استثناء على إثبات هذه الصفة، وأن الله سبحانه وتعالى فوق سماواته، بائن من خلقه، وقد حكى جمعٌ من العلماء إجماعَهم على ذلك، منهم:

---

(١) الرد على الجهمية: للدارمي: (ص٣٣).

(٢) انظر: كتاب التوحيد: لابن خزيمة: (١/٢٣١-٢٣٣).

(٣) انظر مثلاً: إثبات صفة العلو: لابن قدامة: (ص٦٤-٦٥) ؛ والعلو للعلي الغفار: للذهبي.

– الإمام ابن قدامة المقدسي[1] رحمه الله تعالى؛ حيث يقول في مستَهَلِّ كتابه «إثبات صفة العلو»: ((فإنَّ اللهَ تعالى وصفَ نفسَهُ بالعلو في السماء، ووصَفَه بذلك محمَّدٌ خاتَمُ الأنبياء، وأجمعَ على ذلك جميعُ العلماءِ مِن الصحابة الأتقياء والأئمةُ من الفقهاء، وتواترَتْ الأخبارُ بذلك على وجهٍ حصلَ به اليقين، وجمع الله تعالى عليه قلوبَ المسلمين، وجعله مغروزاً في طباع الخلق أجمعين ... لا ينكر ذلك إلا مبتدعٌ غالٍ في بدعته، أو مفتونٌ بتقليده واتباعه على ضلالته))[2].

– والإمام الأوزاعي رحمه الله؛ فإنه قد تقدَّمَ أنه قال: ((كُنَّا والتابعونَ متوافِرون نقول: إن الله –تعالى ذكره– فوق عرشه، ونؤمنُ بما وردَتِ السُّنة به من صفاتِه جلَّ وعَلا))[3].

وكذلك هو معتقد الأئمة الأربعة؛ أبي حنيفةَ ومالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ، رحمهمُ الله تعالى؛ فقد رُوي عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى قوله للمرأة التي سألَتْهُ: أين إلٰهُكَ الذي تعبدُه؟ فقال: (إنَّ الله سبحانه وتعالى في السَّماء دون الأرض، فقال له رجلٌ: أرأيتَ قولَ اللهِ تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾[4] قال: هو كما تكتبُ إلى الرَّجُل: إنِّي معكَ، وأنت غائب عنه)[5].

---

(١) ابن قدامة هو: عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الصالحي، موفَّق الدين، أبو محمد؛ إمام الحنابلة، سمع من والده، وأبي المكارم بن هلال، وخلقٍ كثير؛ وسمع الحديثَ منه خلائق من الأئمة منهم: الدُّبَيثي، والمنذري؛ حجَّ سنة أربع وسبعين، وصنَّف كتابه الكبير: «المغني» في شرح «الخرقي»، وله: «البرهان في مسألة القرآن»؛ توفي سنة عشرين وستِّ مائة يوم عيد الفطر. انظر: الذيل على طبقات الحنابلة: لابن رجب: (٢٨١–٢٩٨ برقم ٣٠٠).

(٢) إثبات صفة العلو: لابن قدامة المقدسي: (ص٦٣).

(٣) سبق تخريجه في القاعدة الأولى من المبحث الأول من هذا الفصل.

(٤) سورة الحديد: (٤).

(٥) ذكره البيهقي في الأسماء والصفات: (٢/٣٣٧–٣٣٨).

وقد تقدَّم ذِكرُ الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في المبحث السابق في نفيه علمَ البشر عن كيفية استواء الرَّبّ تعالى وتقدَّس، المتضمن لإثبات صفة الاستواء والعلوّ المطلق.(١) وكذلك من قوله رحمه الله: (اللهُ في السَّماء، وعِلْمُه في كلِّ مكان لا يخلو منه شيء)(٢).

وكذلك عليه مذهب الإمامين الشافعي وأحمد رحمهما الله تعالى؛ يقول البيهقي رحمه الله تعالى بعد ذكره لشيء من آثار السلَف في إثبات هذه الصفة العَلِيَّة: (وعلى هذه الطريق يدُلُّ مذهبُ الشافعي ﷺ ، وإليها ذهب أحمد بن حنبل)(٣).

فهذا ملخَّصٌ من معتقد أهل السنة، وجملة يسيرة من أقوالِهم في إثبات هذه الصفة الجليلة، وإلا فإنهم قد أَسهموا بحظٍّ وافِرٍ في بيان هذه الصفة والاستدلال لها بأنواع من الأدلة في مُصنَّفاتهم ومؤلفاتهم، ولقد أجلَبوا بخيلهم ورَجلهم من التأليف في ثبوت هذه الصفة، روايةً للأخبار بأسانيدها، أو بحذفها لتدلَّ على المقصود، فجزاهم الله خير الجزاء.

وسيأتي -بإذن الله تعالى- شيءٌ من أقوالهم الْمُثْبِتة لهذه الصِّفة الكريمة في تقرير الشيخ السِّندي رحمه الله تعالى.(٤)

---

(١) انظر: المبحث السابق.

(٢) أخرجه ابن قدامة في إثبات صفة العلو: (ص١٦٦ برقم ٧٦) ؛ وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة: (١/٢٨٠ برقم ٥٣٣).

(٣) الأسماء والصفات: للبيهقي (٢/٣٠٨).

(٤) وانظر كذلك: كتاب إثبات صفة العلو: لابن قدامة: (ص١٦٦) ؛ والسنة: لعبد الله بن الإمام أحمد: (١/٢٨٠ برقم ٥٣٣) ؛ وكتاب العلو للعلي الغفار: للذهبي: بكامله ؛ والحجة في بيان المحجة: للأصبهاني: (٢/١١٥) ؛ ودرء تعارض العقل والنقل: لابن تيمية: (٧/١٦) ؛ والتمهيد: لابن عبد البر: (٧/١٣٠) ؛ وإثبات صفة العلو: لابن قدامة: (ص٨١) ؛ والأسماء والصفات: للبيهقي: (٢/٣٢٥) ؛ والحجة في بيان المحجة: للأصبهاني: (٢/٨٨).

* تقريرُ الشَّيخ بديع الدِّين السِّنْدي لعقيدة أهل السُّنَّة فيما يتعلَّقُ بصفة العُلُوّ:

قد أطالَ الشيخ النفَس في بيانِ هذه الصِّفة الكريمة وإثباتِها، وقد صنَّف في ذلك كتاباً مستقلاً، أثبتَ فيه صفةَ العلو على عقيدة أهلِ السنة والجماعة وقواعدهم المقرَّرَة لَديهم، وذلك لِكَثرةِ ما وقعَ عندَ بعض النَّاس فيها منَ الخطأ وسُوءِ الاعتقاد، وأصل هذا الكتاب جوابُ سؤالَين ورَدَا عليه مِن قِبل بعض الناس، سأله في أحدهما السائلُ عن تفاسير الناس في مسألة: أين الله؟

ومما ورد فيه: السؤالُ عن قول من يقولُ من العلماء: إنَّ الكائناتِ كلَّها مخلوقةٌ لله تعالى، وهو منفصل عنها بذاته، وهو بنفسه وذاته مستوٍ على العرش العظيم، وهو وراء الوراء؟

فأجاب الشيخ رحمه الله تعالى على هذا السؤال، فجاء في جزء كبير من هذا المصنَّف، قال في مستَهلِّه تصحيحاً لهذا القول الذي أوردَه السائلُ في سؤاله: (التشريح الأول للتوحيد هو الصحيح، وهذه هي عقيدةُ جميعِ أهلِ الإسلام في السَّلَف)[1].

فتصحيحه لهذا القول فيه إثباتٌ منه علوَّ الله تعالى، وأنه تعالى على عرشه العظيم، وليس هو في المخلوقات، ولا هو متصل بها، بل هو بائنٌ عن خلقه، تعالى الربُّ عن ذلك علواً كبيراً.

---

(١) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٣ مخطوط).

- **ذِكره لعقيدة الصَّحابة وأقوالِهم التي دلَّتْ على عُلُوِّ اللهِ تعالى:**

الصحابة الكرام هم خيرُ هذه الأمة، وخيرُ ورثةٍ لنبيِّهم ﷺ ، وقد اختارهم الله لصُحبةِ رسوله، و(هو سبحانه أعلَمُ بمن يصلُح من الأمم لِوراثةِ رُسُلِه، والقيامِ بخلافتهم، وحملِ ما بلَّغوه عن ربهم)[1]؛ ولذلك كانوا على صفاء في العقيدة، وكانوا أُسوةً للأُمَّة، تقتدي بهم في دينهم واعتقادهم.

ونظراً لذلك انتهج علماء أهل السنة والجماعة في تصانيفهم أن يذكروا أقوالَهم بعد استنادهم إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، ليؤيِّدوا بها ما ذكروه من المسائل والاعتقاد، ولِيُبِّنوا أنهم لم يأتوا بِبِدْع من القول في الدِّين، بل لهم سلفٌ فيما قالوه وبنَوا عليه اعتقادَهم باليَقين.

وما كان الشيخ السندي رحمه الله تعالى ليتخلَّق بأخلاقِ غيرِ سلَفِه الصالح فيتخلَّفَ عن منهجِهم القويم، ولذلك نجده هنا يذكر منهج سلف هذه الأمة لِيُبرهِنَ على سلفيَّته، وأنه سائرٌ على طريقتهم ونَهْجهم.

وقد ذكر الشيخ السندي يرحمه الله تعالى اعتقادَ الصحابة ونقلَ أقوالَهم رضي الله عنهم في هذه المسألة والتي تدلُّ دلالة واضحة أنهم يعتقدون أن الله تعالى عالٍ على خلقه، ويُثبِتون له صفةَ العلو كما تليق بشأنه وعظمته، لا تكييفَ فيه ولا تمثيل؛ فمن ذلكم:

- ما نقله الشيخ السندي عن ابن عبد البر رحمهم الله تعالى أنه أخرج في كتابه «الاستيعاب»: عن عبد الله بن رواحة[2] رضي الله عنه ((أنه مشى ليلةً الى أَمَةٍ له،

---

(١) كلام مقتبس من كتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين: لابن القيم: (٢٠٨/١).

(٢) هو أبو محمد، عبد الله بن رَوَاحَة بن ثَعْلَبة الأنصاري الخزرجي، من بني الحارث بن الخزرج، نقيبٌ بدري أمير، شهد العقبة ، وبدراً ، وأُحداً ، والخندق، والمشاهد بعدها مع الرسول ﷺ ، إلا الفتح وما بعده، فإنه كان قد قُتل قبله، يوم مُؤْتَة شهيداً أميراً فيها، سنةَ ثمان، وهو أَحدُ الشعراء المُناضلين عن الرسول ﷺ . انظر: أُسد الغابة (٢٣٥/٣-٢٣٨ ٢٩٤٣) ، تجريد أسماء الصحابة (٣١٠/١ برقم ٣٢٨٠) ؛ وانظر: حلية الأولياء: لأبي نعيم الأصبهاني: (١١٨/١-١٢١ برقم ١٨).

فنالَها، فرأتْه امرأتُه فلامَتْه، فجحَدَها، فقالت له: إنْ كنتَ صادقاً فاقرأ القرآن، فإن الجُنُب لا يَقرأ القرآن فقال:

شهدتُ بأنَّ وعدَ اللهِ حقٌّ *** وأنَّ النَّار مثوَى الكافرينَا

وأنَّ العرشَ فوقَ الماءِ طافٍ *** وفوقَ العرشِ ربُّ العالمينَا

فقالتْ امرأته: صدق اللهُ وكذبَتْ عيني، وكانتْ لا تَحفظُ القرآن)).[(١)]

- وكذلك نقل الشيخ عن الإمام البغوي رحمهما الله أنه أخرج عن عبد الله مسعود ﷺ قال: ((إنَّ العبد ليَهِمُّ بالأمر من التجارة والإمارة حتى ييسر له، نظر الله إليه من فوق سبع سماوات، فيقول للملائكة: اصرفوه عنه، فإن يسرته له أدخلته النار))[(٢)].

إلى غير ذلكم من أقوال صحابة رسول الله ﷺ التي فيها وصف الربِّ جلَّ شأنه بصفة العلو، وأنه سبحانه فوق سبع سماوات.

- **ذكره لأقوال السلف الصالح من بعد الصحابة في ذلك:**

تظافرَتْ أقوالُ التابعين ومَن بَعدهم من أهل الحديثِ أهلِ السُّنة والجماعة التي تحوي إثباتهم لصفة العلو لله العليِّ الأعلى، وأنه سبحانه وتعالى فوقَ سماواته وجميعِ خلقه، أورَد كثيراً منها الشيخ السندي رحمه الله تعالى في مصنَّفاته، أذكر فيما يلي شيئاً من ذلك:

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب: (ص٣٩٧-٣٩٨) ؛ والدارمي في الرد على الجهمية بألفاظ قريبة منه: (ص٤٦-٤٧ برقم ٨٢) ؛ وقد نقله الشيخ السندي في: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: (ص٧١ مخطوط).

(٢) عزاه الذهبي إلى البغوي في كتاب العلو للعلي الغفار: (ص٥٧ برقم ٩٩) ؛ وأخرجه الدارمي في الرد على الجهمية: (ص٤٦ برقم ٨٠).

١. يقول الإمام الأوزاعي رحمه الله: ((كنّا والتّابعون متوافِرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته جلّ وعلا))[١] وهو الأثر الذي استهلَّ به الشيخ السندي كتابه «التوحيد الخالص».[٢]

٢. وروى عبد الله بن أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي[٣] رحمهم الله تعالى أنه قال: ((ليس في أصحاب الأهواء شَرٌّ من أصحابِ جَهْم[٤]، يُدَوِّرُون على أنْ يقولوا: ليسَ في السماء شيءٌ، أرىَ -واللهِ- أن لا يُناكَحُوا ولا يُوارَثُوا))[٥].

---

(١) سبق تخريجه في القاعدة الأولى من المبحث الأول من هذا الفصل.

(٢) انظر: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٣ مخطوط).

(٣) عبد الرحمن بن مهدي هو: عبد الرحمن بن مهدى بن حسان العنبري مولاهم، أبو سعيد البصري، ثقة ثبت حافظ، عارف بالرجال والحديث؛ قال ابن المديني: ما رأيت أعلم منه، من التاسعة؛ روى عن عمر بن ذرّ، وأيمن بن نابل، وعنه أحمد، ورُسْتَهْ، والذهلي؛ مات سنة ثمان وتسعين ومائة. انظر: تقريب التهذيب: (ص٦٠١ برقم ٤٠٤٤) ؛ والكاشف: للذهبي: (٦٤٥/١ برقم ٣٣٢٣).

(٤) جهم: هو ابن صفوان، أبو محرز الراسبي، مولاهم، السمرقندي؛ الكاتب المتكلم، أُسُّ الضلالة، ورأس الجهمية، كان ينكر صفات الرب تعالى، ويقول بخلق القرآن، وأن الله في الأمكنة كلها، والإيمان عقد بالقلب وإنْ تلفظ بالكفر؛ أخذ الكلام عن جعد بن درهم، لم يكن له بالحديث والأثر علم؛ روي عن أبي حنيفة أنه قال: أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال: إنه تعالى ليس بشيء. قتل سنة ثمان وعشرين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء: للذهبي: (٢٦/٦-٢٧ برقم ٨) ؛ وتاريخ الطبري: (٣٣٥/٧) ؛ والكامل في التاريخ: لابن الأثير: (١٧/٥) ؛ وتاريخ الجهمية والمعتزلة: (ص١٠-١١).

(٥) رواه عبد الله بن أحمد في السنة: (١٥٧/١ برقم ١٤٧) ؛ وذكره الشيخ السندي في كتاب: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: (ص٤ مخطوط).

٣. وروى ابن أبي حاتم[١] رحمه الله في «الرد على الجهمية» عنه، قال: ((أصحاب جهم[٢] يريدون أن يقولوا: إنَّ الله لم يكلِّم موسى، ويريدون أن يقولوا: ليس في السماء شيءٌ، وإن الله ليس على العرش، أرى أن يُستَتابُوا فإنْ تابوا وإلا قُتلوا)). كذا في «الحَموية» لابن تيمية.[٣]

٤. ونقل الحافظ الذهبي في كتابه «العلو للعلي الغفار» عن أبي نعيم الأصبهاني أنه قال في كتابه «الاعتقاد»: (طريقتُنا طريقةُ السَّلَف المتَّبعين للكتابِ والسُّنَّة وإجماع الأمة؛

---

(١) ابن أبي حاتم هو: أبو محمد، عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الرازي، من كبار حفاظ الحديث؛ سمع من محمد بن أبي عبد الرحمن المقرئ، وأبي سعيد الأشج، وخلائق؛ وروى عنه ابن عَدِي، وأبو أحمد الحاكم، وخلق سواهم؛ له تصانيف، منها: «الجرح والتعديل»، و«الرد على الجهمية»، قرأ على أبيه شيئاً كثيراً؛ توفي سنة سبع وعشرين وثلاث مائة. انظر: الأعلام: للزركلي: (٣/٣٢٤) ؛ وسير أعلام النبلاء: للذهبي: (١٣/٢٥٠-٢٥١ ، ٢٦٣-٢٦٩ برقم ١٢٩).

(٢) لفظة "جهم" سقطت من المرجع، وأثبتها من كتاب: الفتوى الحموية الكبرى: لابن تيمية: (ص٣٢٢).

(٣) ذكره الشيخ السندي في كتاب: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: (ص٤ مخطوط) ؛ ونقله ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى: (ص٣٢٢-٣٢٣) ؛ وروى البيهقي أجزاء متفرقة منه في موضعين من كتابه الأسماء والصفات: (١/٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ؛ بأرقام ٥٤٥ ، ٥٤٦) بسنده عن عبد الرحمن بن مهدي بألفاظ متقاربة. وأما كتاب ابن أبي حاتم: «الرد على الجهمية»، فقد نسبه إليه الذهبي في سير أعلام النبلاء: (١٣/٢٦٤) والزركلي في الأعلام: (٣/٣٢٤)، وغيرهما، و لم أقف عليه، فقد صار في حيز المفقودات، وقد جمع الباحث فهد النمري شذرات من نصوصه المتناثرة في كتب الأعلام السابقة في رسالة جامعية بعنوان: ''ما ورد من نصوص وآراء في كتب التراث عن ابن أبي حاتم في كتابه المفقود: الرد على الجهمية؛ جمعاً ودراسة'' كما في قائمة الرسائل العلمية للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، على موقعها الإلكتروني بعنوان: http://aqeeda.org/container.php?fun=doressearch ، تم زيارة الصفحة بتاريخ: ١٤٣٥/٣/٦هــ.

ومِمَّا اعتقدوه: ... وأنَّ الأحاديثَ التِي ثبتتْ في العَرْش، واستواء الله عليه يقولون بها، ويُثبِتونها من غير تكييف ولا تمثيل، وأن الله بائنٌ من خلقه، والخلقُ بائِنون منه، لا يَحُلُّ فيهم ولا يمتزِجُ بهم، وهو مستوٍ على عرشه في سمائه من دون أرضه)[1].

إلى غير ذلك من الأقوال الواردة عنهم، والتي تدل على إثباتهم لصفة العلو لله تعالى، وأن الله تعالى في السماء دون الأرض، ويظهر منها جلياً إجماع أهل السنة على ذلك، وأنه لم يخالفهم في ذلك إلا المبتدعة الضلال، وقد نقل الشيخ نقولات كثيرة عنهم في ذلك، صرفت النظر عنها خشية الإطالة.

- **الأدِلة التِي ذكرها الشيخ علَى صِفَةِ العُلو:**

قد استدل الشيخ السندي رحمه الله تعالى في كتابه «التوحيد الخالص» لهذه الصفة بأدلَّة تفوق في عددها الآلاف، جمعَ كثيراً مما ورد من أفرادها في الآيات القرآنية تحتَ أنواع، فأذكر فيما يلي تلك الأنواع مختصراً:

أولاً_ أنواع الأدلة القرآنية: [2]

وهي تلك الأنواع التي جمع الشيخ تحتها عدداً من آي القرآن الكريم ذكرَها كأمثلة على ذلك، وبين وجه استدلالها على صفة العلو، فمنها:

---

(١) ذكره الشيخ السندي في كتاب: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: (ص٤ مخطوط) نقلاً عن كتاب: العلو للعلي الغفار: للذهبي: (ص٢٤٣ برقم٥٦١) ؛ وكذا نقله عن أبي نعيم الأصبهاني ابنُ تيمية في بيان تلبيس الجهمية: (٥/٦٣).

(٢) انظر: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٤-٥٠ مخطوط).

النوع الأول: نصوصٌ ورَدَتْ بالتَّنصيص علَى عُلوِّه تعالى على العرش:

وذكر الشيخ من أمثلتها قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[1] وقوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[2] وقوله جل وعَلا: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[3].

ووجه الاستدلال بهذه الآيات الكريمات أن الاستواء هو بمعنى العلو والارتفاع، يقول الشيخ بعد أن ذكر هذه الآيات: (ومعنى الاستواء: العُلوُّ والارتِفاع)[4] فاستدل الشيخ هنا بذكر الاستواء على صفة العلو العام.

النوع الثاني: الآيات التي فيها ذكر الاستواء إلى السماء:

وقد ورد ذلك في موضعين من القرآن الكريم، هما: قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٩﴾[5] وقوله جلَّ شأنه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾[6].

ووجه الاستدلال منهما كوجه الاستدلال بالآيات السابقة في النوع الأول، وقد ذكر الشيخ في وجه الاستدلال بها من أقوال السلف ما يدل على أن معنى الاستواء إلى السماء هو العلو والارتفاع، فمن ذلك ما ورد في «صحيح البخاري» عن أبي العالية رحمه الله تعالى أنه قال: (استَوَى إلى السَّمَاء: ارْتَفَعَ ...)[7] فثبت أن الاستواء إلى السماء في الآيتين المذكورتين بمعنى العلو والارتفاع.

---

(١) سورة الأعراف: (٥٤).

(٢) سورة الرعد: (٢).

(٣) سورة طه: (٥).

(٤) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٥ مخطوط).

(٥) سورة البقرة: (٢٩).

(٦) سورة فصلت: (١١).

(٧) تقدم تخريجه في المبحث العشرين من هذا الفصل.

النوع الثالث: الآيات التي فيها ذِكر عَرْش الله تعالى العظيم:

ذكر الشيخ في هذا النوع أمثلة من الآيات القرآنية فيها ذكر العرش كقول الرَّبّ سبحانه في سورة التوبة: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾[1] وقوله تعالى في سورة هود: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾[2] وقوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[3] وقولِه تعالى في سورة غافر: ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾[4] وقولِه تعالى وتمجَّد في سورة البُروج: ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾[5] وآيات أخرى ذكرها في هذا المعنى.

ووجه الاستدلال من هذه الآيات على علو الباري على جميع خلقه: أن العرش أعلى المخلوقات وأعظمها، والله تعالى خَلَقه وما دونه من المخلوقات، واستوى عليه، فهو عالٍ على جميع خلقه، كما أن العرش كذلك في نفسه يدل على معنى العلو والارتفاع.

يقول الشيخ السندي رحمه الله تعالى في وجه الاستدلال بالآيات المذكورات بعد أن ذكرها وأمثالها: (وفي العرشِ ذاتِه معنى العُلُوّ، كما مَرَّ[6]، وسيأتي أيضاً

(١) تقدم تخريجه في المبحث العشرين من هذا الفصل.

(٢) سورة هود: (٧).

(٣) سورة الأنبياء: (٢٢).

(٤) سورة غافر: (١٥).

(٥) سورة البروج: (١٥-١٦).

(٦) لم أجد فيما سبق موضعَ كلامِ الشيخ هذا في كتابه خالص توحيد (التوحيد الخالص) شيئاً مما أشار إليه هنا مِن ذِكر أن العرش يدل في نفسه على معنى العلو، اللهم إلا أن يكون وهِم في ذلك، أو يكون مقصوده ما ذَكره من دلالة استواء الله تعالى على عرشه، واستوائِه إلى السَّماء على العلو. انظر: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٤ ، ٦ مخطوط).

تصريحه في الأحاديث، ولا يكون ذا العرش إلا أن يكون مستوياً عليه، وهذا مستلزمٌ لِأنْ يكون بائناً عن الخلق).

ثم قال: (قال الإمام أبو بَكرٍ الآجُرِّي في كتاب «الشريعة»: "والذي يَذهب إليه أهل العلم: أنَّ الله عزَّ وجَلَّ[1] على عرشِه فوقَ سماواته، وعلمُه محيطٌ بكلِّ شيء، قد أحاط علمه جميع[2] ما خلَق في السماوات العُلا، وبجميعِ ما في سبْعِ أرضينَ وما بينهما وما تحت الثرى، يَعلم السِّرَّ وأَخْفى، ويعلم خائنةَ الأعْيُن وما تُخْفي الصدور، ويَعلم الخطر[3] والهَمَّة[4]، ويعلم ما توسوس به النُّفوس، يَسمَعُ ويَرى، لا يَعْزُب عن الله عزَّ وجَلَّ مثقالُ ذرَّة في السماوات والأرضين وما بينهُنَّ إلا قد[5] أحاط علمه به، فهو على عرشه سبحانه العليُّ الأعلى، يرفعُ الله إليه أعمالَ العِباد[6]، وهو أعلم بها من الملائكة الذين يعرِفونها[7] باللَّيل والنهار"[8].

---

(١) هنا في المصدر الأصل إضافةُ لفظ: (سبحانه).

(٢) في المصدر الأصل: (قد أحاط علمه بجميع ما خلق ...) بزيادة باء.

(٣) في المصدر الأصل: (الخطرة) بزيادة تاء مربوطة. والخطر: الخاء والطاء والراء أصلان: أحدهما القَدْر والمكانة. والثاني: اضطرابٌ وحركة، ومنه قولهم: خَطَرَ ببالي كذا خَطْراً، وذلك أن يمرَّ بقلبه بسرعةٍ لا لُبْثَ فيها ولا بُطْء. ويقال خَطَر في مِشْيَته. والخَطرة: الذِّكرة. انظر: معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: (١٩٩/٢).

(٤) الهَمَّة بالفتح -ويكسر- والهمُّ بمعنى واحد، وهو: ما هُمَّ به من أمْرٍ ليُفْعَلَ. يقال: أهَمَّني: أيْ أقْلَقَني، ومُهِم الأمر: شديده. انظر: معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: (١٣/٦) ؛ والقاموس المحيط: للفيروز آبادي: (١٨٩/٤).

(٥) في المصدر الأصل: (إلا وقد) بزيادة واو.

(٦) في المصدر الأصل: (تُرفع إليه أعمال العباد) بصيغة مجهول.

(٧) في المصدر الأصل: (من الملائكة الذين يرفعونها ...).

(٨) الشريعة: للآجري: (٦٦/٢).

وفي تفسير ابن كثير تحت الآية الأولى[1]: "أيْ: هو مالك كل شيء وخالقُه، لأنه ربُّ العَرشِ العظيم، الذي هو سَقفُ المخلوقات، وجميعُ الخلائقِ من السماواتِ والأرضِينَ وما فيهما وما بينهما تحتَ العرش مقهورون بقدرة الله تعالى، وعلمُه محيطٌ بكلِّ شيء، وقَدَرُه نافذٌ في كلِّ شيء، وهو على كلِّ شيءٍ وكيل"[2]).

إلى أنْ قال في وجه الاستدلال بآية سورة البروج: ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[3]: (وفي تفسير ابن كثير تحت الآية التاسعة: "أيْ: صاحبُ العرشِ العظيمِ العاليْ على جميعِ الخلائق"[4])[5] انتهى.

وقد تضمَّنَ هذا الاستدلال من الشيخ على عُلوِّ الله تعالى بإثبات العرش في هذه الجملة –مع ما احتوته من أقوال بعض السلف رحمهم الله في تفسير الآيات المذكوراتِ– وجهَين:

- الوجه الأول: أنَّ العرشَ يدلُّ في ذاته على معنى العلو، فإثباته يدُلُّ على علو الله تعالى، كما تقدمت أقوال المفسرين في ذلك؛ وذلك لِما ذكر أهل اللغة أن العرش في لُغة العرب هو سَقف البَيت وأعلاه، ويدلُّ على ارتفاع في شيء مبني[6] وذَكر السلف معناه اصطلاحاً بأنه سقف العالَم كلِّه مثل القبة[7]، فهو أعلى البناء، والله سبحانه وتعالى فوق عرشه، فهو عالٍ على جميع خلقه.

---

(١) يقصد بها آيةَ سورةِ التوبة.

(٢) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: (٤/٢٤٣).

(٣) سورة البروج: (١٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: (٨/٣٧٢).

(٥) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٧-٨ مخطوط).

(٦) انظر: معجم مقاييس اللغة: لابن فارس: (٤/٢٦٤-٢٦٥).

(٧) انظر: إيضاح الدليل في قطع حُجَج أهل التعطيل: لبدر الدين ابن جماعة (ص١٣٠) ؛ وكتاب: ما دلّ عليه القرآن مما يَعضُد الهَيئةَ الجديدةَ القويمةَ البُرهان: لمحمود شكري الآلوسي: (ص٩٣) ؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٥/١٥١).

- والوجه الثاني: أن الله تعالى وصف نفسَه بأنه ذو العرش، وهذا يدلُّ على علوِّ الله تعالى عليه، لأنه لا يكون صاحب العرش إلا أن يكونَ مستوياً عليه، وهذا يَستلزِم منه كونه بائناً عن الخلق، عالياً.

فالله سبحانه وتعالى فوقَ عرشه، وعرشُه فوق سماواته، فهو عالٍ على جميع خلقه، كما سيأتي مزيدُ البيان لمعنى العرش في المبحث القادم.

أمَّا ما أشار إليه الشيخُ من ورود التصريح في الأحاديث أن العرشَ في ذاتِه يدل على معنى العلو فهو يَقصِد بذلك دلالة أحاديث النبي ﷺ على معناه اللغوي: أن العرش أعلى المخلوقات وأرفعها وأعظمها وأنه فوق السماوات، وقد ذكرها في مواضع متفرِّقة، منها:

حديثُ جبير بن مطعم[(١)] ﷺ قال: ﴿جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ، فقال: يا رسولَ الله! نُهِكتِ الأنفُسُ، وجاعَ العيال، وهَلَكتِ الأَمْوالُ فَاسْتَسْقِ لنا ربك، فإنا نَستشفعُ بالله عليكَ، وبِكَ على الله، فقال النبي ﷺ : سُبْحانَ الله! سُبْحانَ الله! فما زالَ يُسبِّحُ حتَّى عُرِف ذلك في وُجوهِ أَصْحابه، ثمَّ قالَ: وَيْحَكَ أتدرِيْ مَا اللهُ؟! إنَّ شأْنَهُ أَعْظَمُ مِنْ ذلك، لأنَّه لا يُسْتَشفَعُ باللهِ عَلَى أَحَدٍ، إنَّهُ لَفَوْقَ سَمَاوَاتِه على عَرْشِهِ ... ﴾[(٢)].

---

(١) هو جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل القرشي، أبو محمد، من أكابر قريش، وكان من علماءِ النسب، أخذه من أبي بكر الصديق؛ قَدِم على النبي ﷺ في فداء أسارى بدر، وأسلم بين الحديبية والفتح، روى عنه من الصحابة سليمانُ بن صُرَد، وعبد الرحمن بن أزهر؛ مات سنة سبعٍ أو ثمانٍ أو تسعٍ وخمسين في خلافة معاوية. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني: (١٦٨/٢ برقم ١٠٩٨) ؛ معجم الصحابة: للبغوي: (٥١٦/١-٥٢٠).

(٢) أخرجه الذهبي في العلو للعلي الغفار: (ص٤٣ برقم ٧١) ؛ والبيهقي في الأسماء والصفات: (٣١٨/٢ برقم ٨٨٣) ؛ وهو حديث ضعيف، ضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: (١٤٥/٦ برقم ٢٦٣٩). وقد نقله الشيخ السندي في كتابه: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: (ص٥٩ مخطوط).

ففي هذا الحديث النبوي بيان بيِّن أن عرش الله تعالى في العلو فوق سماواته، والرب تعالى فوق ذلك.

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿مَن آمنَ بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقا على الله أنْ يُدخله الجنة، هاجر أو جلس في أرضه. قالوا: يا رسول الله! أفلا تنبئ الناسَ بذلك؟ قال: إن الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله عز وجل فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة﴾[1].

وهنالك نصوص أخرى غير ذلك ذكرها الشيخ السندي رحمه الله تدل على كون العرش في العلو.

النوع الرابع: الآياتُ التي فيها ذِكر حمل الملئكة العرشَ[2]:

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ﴾[3] وقال سبحانه: ﴿ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ ﴾[4].

النوع الخامس: الآيات التي فيها التصريح بأنَّ الله سبحانه وتعالى على السموات:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ قريبة من الألفاظ المذكورة في المتن: كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء: (١٢٥/٩ برقم ٧٤٢٣). وقد نقله الشيخ السندي في كتابه: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: (ص٦٣ مخطوط).

(٢) انظر: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٨ مخطوط).

(٣) سورة غافر: (٧).

(٤) سورة الحاقة: (١٧).

ﭐلۡكَٰذِبِينَ ٣٨﴾[1]، وقال جلَّ ثناؤه: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ٣٧﴾[2].

ومقصود الشيخ من إيراد هذه الآيات أن الله تعالى أخبر فيها عن فِرْعونَ أنه رامَ الصعود إلى السماء لِيَطَّلعَ إلى إلهِ موسى ﷺ، فيكذِّبه فيما أخبره به مِن كون الرَّبِّ سبحانه فوقَ السماوات، ولو لم يكن نبيُّ الله موسى ﷺ أخبره بذلك لَمَا طلب ذلك ولا رام إليه.

يقول الشيخ السندي رحمه الله بعد أن ذكر هذين الموضعين من القرآن الكريم: (تبينت من هاتين الآيتين عدة أمور:

- الأول: هذه هي العقيدة التي عرضها الأنبياء السابقون عليهم السلام كغيرهم.
- الثاني: إنكارُها طريقةٌ فرعونيَّة؛ ففي «شرح العقيدة الطحاوية»: "فمن نفَى العُلوَّ من الجهمية فهو فرعوني، ومَن أثبَتَهُ فهو مُوسَوِي محمَّدي"[3].
- الثالث: بل هو انحراف عن الطريق وضلال وتَيهٌ عن الصراط المستقيم.
- الرابع: الباعث على هذا الانحراف في الاعتقاد هو تزيُّن سوء الأعمال لدى الشخص.
- الخامس: فهو كيد وحيلة لتعطيل الشريعة.
- السادس: ولكن الله تبارك وتعالى يَتِبُّ[4] مثل هذه الحِيَل الباطلة)

---

(١) سورة القصص: (٣٨).

(٢) سورة غافر: (٣٦).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز: (٢٨٧).

(٤) تبَّ يتبُّ تباً وتَباباً: هو الخسار والهلاك. انظر: كتاب العين: للفراهيدي: (١/١٧٩).

إلى أن قال: (وفي تفسير ابن جرير تحت الآية الأولى: "وقولُه: ﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ يقول: أَنظرُ إلى معبودِ موسى الذي يعبدُهُ، ويدعو إليه ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ﴾ فيما يقولُ مِن أنَّ له معبوداً يعبُدُه في السماء، وأنه هو الذي يؤيِّدُه ويَنصرُه، وهو الذي أرسَله إليْنا ﴿مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾".[1] وهكذا في تفسير «زاد المسير» لابن الجوزي[2].

وعن الثانية في تفسير ابن جرير: "وقولُه: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ يقول: وإني لأظُنُّ موسى كاذباً فيما يقولُ ويدَّعي مِن أنَّ له في السماء ربًّا أرسلَه إلينا"[3])[4].

فتبين من تفاسير السلف للآيتين الكريمتين أنهما دالتان على صفة العلو للعليِّ سبحانه فوق السماء.

النوع السادس: الآيات التي فيها بيان واضح أن الله تعالى على العرش الذي هو فوق السماوات، حيث لن يصل أحد[5]:

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾[6].

يقول الشيخ السندي رحمه الله تعالى: (في هذه الآية الكريمة بيان جلي -علاوةً على كونها بياناً أن الله تعالى على العرش- أنه بائن من الخلق، ولن يصلَ إلى عرشه أحد، فضلاً عن اتحاد الوجود أو إمكان الحلول)[7] فالآية فيها بيان أنَّ الله تعالى عالٍ على خلقه فوق عرشه.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري: (١٨/٢٥٥-٢٥٦).

(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير: لابن الجوزي: (٦/٢٢٣).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري: (٢٠/٣٢٧).

(٤) انظر: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٨-١٠ مخطوط).

(٥) انظر: المصدر نفسه: (ص١٠ مخطوط).

(٦) سورة الإسراء: (٤٢-٤٣).

(٧) انظر: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٠ مخطوط).

النوع السابع: الآيات التي فيها ذكر فوقية الله تعالى صراحةً[1]:

كقوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ (٥٠) ﴾[2] يقول الشيخ السندي رحمه الله بعد ذكره لهذه الآية ونظائرها: (هذه الآيات صريحة أن الله تعالى فوق خلقه وبائن عنهم)[3] فثبوت الفوقية من أدلة العلو.

النوع الثامن: الآيات التي تُنبئ عن معنى هذه الآيات[4]:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (١٧) ﴾[5] وقال سبحانه: ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ﴾[6]

يقول الشيخ السندي رحمه الله معقباً على أمثال هذه الآيات الكريمات في بيان وجه الاستدلال بها: (وعرش الله فوق هذه السماوات)[7].

ويعني بذلك أنَّ وجه الاستدلال من أمثال هذه الآيات أن الله تعالى بيَّن فيها أنه خلَقَ السمواتِ فوقَنا، وقد تقدم بيان أن عرش الله تعالى فوق سماواته، وهو سبحانه على عرشه، فهي مقدمات عقلية ثبتت بالنصوص الشرعية، وهي بمجموعها تدل على أن الله تعالى في العلو.

---

(١) انظر: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٠-١١ مخطوط).

(٢) سورة النحل: (٥٠).

(٣) انظر: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١١ مخطوط).

(٤) انظر: المصدر نفسه.

(٥) سورة المؤمنون: (١٧).

(٦) سورة الشورى: (٥).

(٧) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١١ مخطوط).

النوع التاسع: ما يقتضي كون الله تعالى فوق السماوات[1]:

قال الله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾[2]. يقول الشيخ رحمه الله: (فكأنه ﷺ كان يرفع بصره إلى السماء راجياً من ربه ... وهذا يكون إذا كان اعتقاده ﷺ أن الله تعالى فوق السماوات على العرش)[3].

يعني أنَّ رفعَ النبي ﷺ بصرَه إلى السماء والعلو وهو يرجو من ربه تعالى تحويل القبلة يدل على أن الله تعالى في العلو، إذ لو لم يكن كذلك لما رفع ﷺ بصرَه إلى السماء حينَ رجاءِ تحويلِها من ربه.

النوع العاشر: الآيات التي فيها التنصيص على العلو لله تعالى:

قال سبحانه: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾[5] فهي نصوص تدل على علو الله تعالى من لفظ العلو.

---

(١) انظر: المرجع السابق: (ص١١ مخطوط).

(٢) سورة البقرة: (١٤٤).

(٣) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١١ مخطوط).

(٤) سورة الرعد: (٩).

(٥) سورة طه: (١١٤) ؛ وسورة المؤمنون: (١١٦).

النوع الحادي عشر: الآيات التي فيها ذكر صفة الله تعالى بأنه «العليُّ» و«الأعلى»:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[1] وقال جلَّ شأنه: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾[2] وقال سبحانه: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ﴾[3].

يقول الشيخ السندي رحمه الله تعالى في الاستدلال بهذه الآيات: (فدلت هذه الآيات جميعاً على صفة العلو لله تعالى)[4].

النوع الثاني عشر: الآيات التي فيها ذكر علو السماء:

كقول الباري سبحانه: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ ﴾[5] وقولِه تعالى ذِكره: ﴿ أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ ﴾[6] وقولِه سُبحانه: ﴿ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ ﴾[7].

ووجه الاستدلال من هذه الآيات البينات هو ما ذكره الشيخ بقوله: (وقد ثبت فيما تقدم -وسَيَثْبُتُ أيضاً بالأحاديث- أن عرش الباري تعالى فوق السماوات؛ فافْهَم)[8]

---

(١) سورة البقرة: (٢٥٥).

(٢) سورة سبأ: (٢٣).

(٣) سورة الأعلى: (١).

(٤) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٢ مخطوط).

(٥) سورة الرحمن: (٧).

(٦) سورة النازعات: (٢٧-٢٨).

(٧) سورة الغاشية: (١٨).

(٨) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٢ مخطوط).

والمقصود أن الله تعالى فوق عرشه، وعرشه فوق سماواته، فيكون عالٍ على جميع خلقه.

النوع الثالث عشر: الآيات التي فيها ذكر الملأ الأعلى، وهم الملائكة:

قال تعالى: ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ ﴾[1] وقال جل شأنه: ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[2] ونقل الشيخ عن ابن جرير رحمه الله أنه قال في تأويل قوله تعالى ﴿إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ في الآية الأولى يعني به: (إلى جماعةِ الملائكة التي هم أعلى مِمَّن هم دونَهم)[3] وعن البغوي رحمه الله أنه قال: (إلى الكتيبة[4] من الملائكة. والملأ الأعلى: هم الملائكة لأهم في السماء، ومعناه: أهم لا يستطيعون الاستماع إلى الملأ الأعلى، ﴿ وَيُقْذَفُونَ ﴾ يُرمون، ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ من آفاق السماء بالشهب)[5].

ثم ذكر الشيخ وجه الاستدلال بذلك فقال: (الاستدلال هنا من ثلاثة أوجه:

أولاً– قد ثبت –كما تقدم– أن العرش فوق السماوات.

ثانياً– الله تعالى فوق الملائكة، كما في آية سورة النحل: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾[6].

---

(١) سورة الصافات: (٨).

(٢) سورة ص: (٦٩).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للطبري: (١٩/٥٠٥).

(٤) في المصدر الأصل: (إلى الكتبة) من غير تصغير. والكتيبة هي: الطائفة من الجيش مجتمعة، وأما كِتبة: فهي مصدر كَتَبَ. انظر: المُغرِب في ترتيب المعرِب: لناصر الدين المطرّزي: (٢/٢٠٥-٢٠٦).

(٥) معالم التتريل: للبغوي: (٧/٣٥).

(٦) سورة النحل: (٤٩).

ثالثاً- نزول الوحي من الله تعالى إلى الملائكة، فافهمْ)[1].

فكل هذه الأمور الثلاثة تدل على أن الله تعالى في العلو بائن عن الخلق، فعرش الله فوق سماواته وهو مستوٍ عليه؛ وملائكته مع كونهم في السماء يخافون ربهم من فوقهم؛ وكذلك نزول الوحي من الله تعالى إلى الملئكة يدل على علوه، لأن النزول لا يكون إلا من العلو.

النوع الرابع عشر: الآيات التي فيها ذكر علو كتاب الله واللوح المحفوظ:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾[2] وقال سبحانه: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾[3] وقال: ﴿ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴿١٣﴾ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ﴿١٤﴾ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ﴿١٥﴾ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴿١٦﴾ ﴾[4].

يقول الشيخ رحمه الله تعقيباً على هذه الآيات: (ثبت أن أصل القرآن الكريم فوق السماوات، لدى الله تعالى في اللوح المحفوظ، حيث نزل منه، وهذا الوجه من الاستدلال لَأتمُّ دليلٍ على المدَّعى)[5].

وتوضيح هذا أن القرآن في اللوح المحفوظ، وهو فوق السماوات عند الله، وهذا يدل على علوه تعالى، كما أن نزول القرآن منه كذلك يدل على ذلك، لأن النزول إنما يكون من العلو، كما تقدم.

النوع الخامس عشر: الآيات التي فيها فيها ذكر تنزيل الملئكة:

---

(١) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٣ مخطوط).

(٢) سورة الزخرف: (٤).

(٣) سورة الواقعة: (٧٧-٨٠).

(٤) سورة عبس: (١٣-١٦).

(٥) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٤ مخطوط).

كقول الرب تعالى: ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ ﴾[1] وقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ ﴾[3].

قال الشيخ السندي رحمه الله في التعليق على هذه الآيات وأمثالها التي فيها نزول الملئكة بأمر ربهم إلى الدنيا: (اتضح أيضاً من هذه الآيات أن الملئكة في السماء، وينتزلون بأمر الله تعالى إذا شاء، ويُبلِّغون أمر الله، أو يأتون بالعذاب، أو يبشرون، وفيها ثبوت أن الله تعالى بائن عن الخلق، لأنه هو الذي يُنزِّلهم)[4].

أيْ: أن نزول الملئكة يدل على أنهم في السماء، ولما كان منزِّلهم هو الله دلَّ ذلك كذلك على علوه تعالى.

النوع السادس عشر: الآيات التي فيها ذكر إنزال القرآن المجيد وغيره من الكتب:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾[5] وقال سبحانه: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾[6] وجمع الشيخ الآيات في هذا المعنى والتي وصلت في عددها ست عشرة ومائة آية من القرآن الكريم، ثم قال: (في هذه الآيات الكريمات بيان أن القرآن الحكيم وغيرَه من الكتب السابقة نزلت من جهة العلو، من الله تعالى على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

---

(١) سورة الحجر: (٨).

(٢) سورة مريم: (٦٤).

(٣) سورة القدر: (٤).

(٤) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٤ مخطوط).

(٥) سورة البقرة: (٤).

(٦) سورة آل عمران: (٣-٤).

لهداية الناس) إلى أن قال في وجه الاستدلال بها: (قد أنزل الله تعالى الكتب، فهو فوق الخلق على العرش، لأن المراد من النزول هو الهبوط من العلو إلى السفل)[1].

فثبت أن نزول الكتب السماوية على الخلق دليل على علو منزِّلها، لأن النزول لا يكون إلا من علو.

النوع السابع عشر: الآيات التي فيها ذكر الوحي:

وبين الشيخ رحمه الله أنها على ثلاثة أقسام:

- القسم الأول: التي فيها ذكر الوحي إلى الملئكة: مثل قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾[2].
- القسم الثاني: التي فيها ذكر الوحي إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: مثل قوله جل شأنه: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾[3].
- القسم الثالث: التي فيها ذكر الوحي إلى الأشياء الأخرى: كقوله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾[4] وقوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾﴾[5] وقوله تعالى

---

(١) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٢٠ مخطوط).

(٢) سورة الأنفال: (١٢).

(٣) سورة النساء: (١٦٣).

(٤) سورة النحل: (٦٨).

(٥) سورة طه: (٣٧-٣٨).

وتمجد: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ ﴾(١).

وفي هذا القسم ذُكر الوحي إلى النحل وإلى الأرض، وإلى أم موسى عليه السلام ، ووجه الاستدلال من جميع هذه الأقسام أن الوحي نزل من الله تعالى إلى هؤلاء الأشياء، والنزول -كما سبق- دليل على العلو.

النوع الثامن عشر: الآيات التي أخبر الله جل شأنه فيها عن بعض الأشياء أنها عنده بلفظ: «عند» و«لدى»:

قال الربُّ تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾(٢) فهذه الآية فيها أن الملئكة عند الله تعالى، وقد تقدم أنهم في السماوات.

وقال سبحانه: ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾(٣)، وقال جل ثناؤه: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾(٤) وبين الشيخ رحمه الله وجه الاستدلال منها بقوله: (الحاصل من هذه الآيات أن الوحي الذي يَنْزِل على الأنبياء عليهم السلام ينزل مِن ذاك اللوح المحفوظ الذي هو فوق السماوات لدى الله تعالى)(٥).

وقال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ ﴾(٦) وهذه الآية أيضاً دليل على علو الله سبحانه، لأن فيها أن الجنة عند الله تعالى، وهي فوق السماوات كما ورد

---

(١) سورة الزلزلة: (١-٥).

(٢) سورة الأعراف: (٢٠٦).

(٣) سورة الرعد: (٣٩).

(٤) سورة النمل: (٦).

(٥) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٣٦ مخطوط).

(٦) سورة التحريم: (١١).

في آيات أخرى. يقول الشيخ السندي رحمه الله تعقيباً على الآية المذكورة: (والجنة فوق السماوات، قال الله تعالى: ﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾[1])[2].

فدل كون هذه الأشياء الثلاثة -الملئكة، وأم الكتاب، والجنة- عند الله تعالى على علو الباري تعالى، لأنها في العلو والسماء.

النوع التاسع عشر: الآيات التي فيها ذكر لبعض الأشياء -كالأعمال وغيرها- أنها تعلو وترتفع إلى الله تعالى، مثل: «رفع» و«صعود» و«عروج»:

كقوله تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾[3] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ ﴾[4] وقوله تعالى وتقدس: ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ ﴾[5].

ووجه دلالتها على العلو أن الرفع والصعود والعروج يكون إلى العلو، فكونه إلى الله دليل على أنه العلِيّ سبحانه.

النوع العِشرون: الآيات التي فيها ذكر إنزال الماء والمطر من السماء:

مثل: قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾[6]

---

(١) سورة النجم: (١٤-١٥).

(٢) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٣٧ مخطوط).

(٣) سورة النساء: (١٥٧-١٥٨).

(٤) سورة فاطر: (١٠).

(٥) سورة المعارج: (٣-٤).

(٦) سورة البقرة: (٢٢).

وقوله سبحانه: ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾[1] وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾[2] وغيرها من الآيات.

يقول الشيخ السندي رحمه الله بعد أن ذكر الآيات المذكورات وما في معناها: (المقصودُ الحاصل من جميع هذه الآيات أن المطر يأتي من السماء، والمنزِّل هو الله تعالى، وهو على عرشه، وأضفْ عليها قولَه تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ... ﴾[3] الآيتان ... يتضح المراد عياناً، وفي حديث مسلمٍ أنَّه ﷺ كان يحسر[4] عن إليته[5] لِيصيبه ماء المطر ويقول: ﴿إِنهُ حَدِيْثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ﴾[6] ..)[7].

فدلت هذه النصوص على علو الله تعالى، ووجه استدلال الشيخ منها أنها دلت على أن الماء يترل من السماء، ومترِّله هو الله تعالى، فيكون الله في العلو، لأنه يترل من عنده سبحانه، بدلالة آيتي سورة الملك مع الحديث الذي أورده في هذا المقام.

---

(١) سورة الروم: (٢٤).

(٢) سورة الشورى: (٢٨).

(٣) سورة الملك: (١٦-١٧).

(٤) يحسر: أي يكشف، يقال حَسَرت العمامة عن رأسي، والثَّوب عن بدني: أي كشفتُهما. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير: (٣٨٣/١).

(٥) هكذا قال الشيخ رحمه الله، وليس هو من ألفاظ صحيح مسلم، وإنما فيه: ﴿فَحَسَرَ رَسُولُ اللهَ ﷺ ثَوْبَهُ﴾ ولم يكن النبي ﷺ يكشف عن عورته، وقد نص العلماء على أن المراد الكشف عن غير عورته. انظر: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: لابن الخطيب الشربيني: (٤٨٤/١).

(٦) رواه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء (٣٩٨/١ برقم ٨٩٨).

(٧) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٤٣ مخطوط).

النوع الحادي والعشرون: الآيات التي فيها ذكر إنزال الأشياء الأخرى:

وذكَرَ الشيخ تحت هذا النوع من الآيات التي فيها ذكرُ إنزالِ بعضِ الأشياء، أو طلبُ إنزالِها، كالمَنِّ والسَّلْوى، والخير، والنُّعاس، والمائدة، واللِّباس، والسكينة، والجنود، والرِّزق، والكَنْز، وجبالٍ فيها من بَرَد، وثمانيةِ أزواجٍ من الأنعام، والمِيزان.[١]

ثم قال في وجه الاستدلال بها: (وكان[٢] أبو عاصم خُشَيشُ بن أَصْرَم[٣] يقول: "لو كان الله في الأَرْض كما هو في السَّماء لم يُنزِلْ من السَّماء إلى الأرْض شيئاً، لكن يصعد من الأرْض إِلَى السَّماء كَمَا ينزل من السَّماء إلى الأرض"[٤])[٥].

فدل إنزال الله تعالى لهذه الأشياء على خلقه على علوه سبحانه عليه، لأنه أنزلها إليهم من فوقهم.

النوع الثاني والعشرون: الآيات التي فيها ذكر إنزال الحجارة على قوم لوط عليه السلام من السماء:

كقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ﴾[٦]

---

(١) انظر: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٤٣-٤٤ مخطوط).

(٢) ورد في المرجع خطأً: (وقال أبو عاصم خُشَيش بن أَصْرَم يقول: ...) والتصويب من المصدر.

(٣) هو أبو عاصم خُشَيش بن أَصْرَم بن الأسود النَّسائي، من حفاظ الحديث، كان صاحب سنّة واتباع؛ له كتاب (الاستقامة) في الرد على أهل البدع؛ سمع روح بن عبادة، وعبد الله السهمي، وطبقتهم؛ وحدث عنه أبو داود والنسائي في سننهما؛ مات بمصر سنة ثلاث وخمسين ومائتين للهجرة. انظر: سير أعلام النبلاء: للذهبي: (٢٥٠/١٢ برقم ٩٢)؛ والأعلام: للزركلي: (٣٠٦/٢).

(٤) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: لابن عبد الرحمن الملطي: (ص٨١).

(٥) نقله الشيخ بديع الدين السندي في كتاب: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: (ص٤٣-٤٤ مخطوط) بتصرف يسير.

(٦) سورة الأعراف: (٨٤) ؛ وسورة النمل: (٨٥).

وقوله سبحانه: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ﴾[1] وقوله تعالى شأنه: ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[2] وذكر الشيخ غيرَهما من الآيات في هذا المعنى، ثم قال: (تنبئ هذه الآيات أيضاً أن الله تبارك وتعالى فوق السماوات، وأنه أنزل هذه الحجارة من علو.

ففي تفسير القرطبي تحت الآية الثانية: "وفي قوله: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ دليلٌ على أنها ليستْ من حِجارة الأرض، قاله الحسن"[3])[4].

فتبين من ذلك أن الحجارة نزلت من السماء، من عند الرب تعالى، فاقتضى ذلك أن يكون سبحانه في العلو، لا في السفل سبحانه وتعالى عن ذلك علواً.

النوع الثالث والعشرون: الآيات التي فيها ذكر التوبة:

يقول تعالى ذِكره: ﴿ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾[5] أيْ: تُبنا إليك، كذا فسره الشيخ. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾[6].

ويُعلِّق الشيخ رحمه الله على هاتين الآيتين الكريتين وأمثالهما -بعد أن استدل بها على المباينة بين الخالق والمخلوق- بقوله: (وأيضاً: فيها دليل على صفة العلو كذلك، وذلك لأننا لا نتوجه عند التوبة إلى السفل، ولا يمنةً ويسرةً، ولا إلى الأمام والخلف، بل نتوجه إلى العلو والسماء، وهو دليل على أن الله تعالى في العلو على العرش، وينكر

---

(١) سورة هود: (٨٢-٨٣).

(٢) سورة العنكبوت: (٣٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي: (٩/٨٣).

(٤) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٤٤ مخطوط).

(٥) سورة الأعراف: (١٥٦).

(٦) سورة التحريم: (٨).

الاستواء على العرش من يسمي نفسه بالاتحادية والصوفية، ولا يجدون حاجة للتوبة، لكنَّ الذي يرى نفسه خطَّاء في جناب الرب تعالى فإنه سيتوجه إلى ربه في العلو ويتوب عن ذنبه)[1] .

وهذا في الحقيقة إشارة من الشيخ السندي رحمه الله إلى الفطرة التي فطر الله تعالى عليها عباده، وهي تلك الضرورة التي يجدونها في قرارة أنفسهم تَطْلب العلو عند التوبة والدعاء إلى ربهم، فهو من أدلة الفطرة على علو الباري تعالى.

فهذه بعض من الأنواع التي ذكرها الشيخ السندي رحمه الله تعالى من ضمن الأدلة القرآنية، والتي تدل على صفة العلو لله سبحانه وتعالى، وقد وصل عدد أفراد النصوص التي ضمنها الشيخ تحت هذه الأنواع خمسة وأربعين وسبع مائة آية.

وهنالك أنواع أخرى لم أوردها في هذا الموضع مخافة الإطالة، وسيأتي ذكر بعضها في مبحث "رد الحلول والاتحاد" من المباحث القادمة، إن شاء الله تعالى.

---

(١) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٤٦ مخطوط).

ثانياً_ أدِلة العلُوّ من السُّنّة:

وكذلك ذَكر الشيخ رحمه الله أدلة كثيرة على صفة العلو للعَليّ الأعلى من نصوص الأحاديث النبوية، وصلت في عددها واحداً وخمسين ومائة حديث، يمكن أيضاً جمعها تحت أنواعها كأدلة القرآن، إلا أن الشيخ لم يذكرها كذلك، بل ذكرها سرداً، ثم ذكر في النهاية أوجه الاستدلال من جميع هذه الأحاديث الشريفة، وأنا في هذا المقام أذكر شيئاً من تلك الأوجه الاستدلالية، من غير تطرق لذكر النصوص للسبب نفسه آنفِ الذكر، ولمن أراد الاطلاع على ذلك فله أن يراجعَ كتابه القيِّم: «التوحيد الخالص».[(١)]

وأما أوجه الاستدلال المشار إليها فهي كالتالي:

١/ استفسار النبي الأكرم ﷺ من تلك المرأة بقوله: أَيْنَ اللهُ؟ ثم شهادتُه لها على جوابها بأنه فِيْ السَّمَاء؛ بأنها: مؤمِنة.

٢/ إخبار النبي ﷺ بنفسه في أحاديث كثيرة بأنه تعالى في السماء، و«في» هنا بمعنى «على» ؛ وكذلك إشارته ﷺ بأصبعه المباركة إلى السماء.

٣/ عروج الملئكة إلى العلو إلى الله تعالى كما في عدة أحاديث.

٤/ ذِكر العرش في عدد من الأحاديث، وهو في نفسه يدل على معنى العلو.

٥/ ذكر الاستواء على العرش.

٦/ ورود التصريح في بعض الأحاديث بصعود الأعمال والصدقات إلى الله، وفي بعضها ذكر عروج الروح وغيرها من الأشياء.

٧/ إشراف الرب على أهل الجنة.

٨/ رفع الرأس إلى السماء للدعاء.

٩/ إرسال الله تعالى ملكَ الموت إلى موسى عليه السلام ثم عروجه إلى الله، ثم عوده إليه.

---

(١) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٥١- مخطوط).

١٠/ أحاديث المعراج.

١١/ ورود التصريح بالعلو والارتفاع.

١٢/ ترتيب السماوات تحت العرش، وذكر المسافة التي بين كل سماء وسماء.

١٣/ رفع الأيدي في الدعاء إلى السماء، واقتضاء الفطرة ودلالتها على العلو.

١٤/ نزول الوحي والأخبار من السماء إلى الرسول ﷺ .

١٥/ أحاديث النزول.

إلى غير ذلكم من أوجه الاستدلال التي استنبطها الشيخ السندي رحمه الله من نصوص الأحاديث النبوية على صفة العلو، وقد وصل عدد هذه الأوجه مائتي وجه، ولو لا أني خِفتُ الإطالة لَسُقْتُها كلَّها لِما فيها من دقائق الاستنباطات وغرائب الدلالات، ولكن شأنَ الأمرِ أنه إذا ضاق اتَّسع، ولذا أحيل القارئ الكريم إلى كتابه المذكور لِيَقف على فضل الشيخ ومتانة علمه بنفسه، والله هو الموفق والهادي.

المبحث الثاني والعشرون

عَــرْشُ اللّهِ

قدْ تقدَّم ذِكر العرْش فيما سبق بأنه الذي استوى الله تعالى عليه، وتقدمت نصوص الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة في إثبات صفة الاستواء عليه، وفي هذا المبحث سيكون الكلام عن تقرير الشيخ السندي رحمه الله عن ماهية هذا العرش الذي استوى الله تعالى عليه، وما هي صفاته؟ وأين هو؟ وهل العرش هو الكرسي أم بينهما فرق؟ وهل يُمكن لأحد أن يصل إليه غير الله تعالى؟..

ولكن قبل ذلك ينبغي لنا أن نَقِفَ على معتقَدِ السلَف الصالح في ذلك كلّه ووجوب الإيمان به؛ لكي نرى مدى موافقته لهم في تقريره لعقيدهم فيما يتعلق بهذا المخلوق العظيم.

فإن العرش من الأمور المغيَّبات عنا، لا يمكن العلم بوجوده إلا عن طريق خبر الله تعالى في كتابه الحكيم، أو عن طريق رسولِه ﷺ الناطقِ بالوحي الأمين، والعبدُ المؤمن مكلَّف بالإيمان بالغيب تصديقاً بلا رَيب، إذْ ذاك وصفُ المتقين، كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾(١).

وقد ثبت وجود العرش في نصوص الكتاب والسنة، وهي نصوص كثيرة، منها ما تقدم ذكرها في مبحث استواء الله تعالى على العرش؛ لأن جميع النصوص التي نصت على أن الله تعالى مستو على عرشه تضمنت إثباتَ العرش، وإلا لم يكن للاستواء عليه معنى، كقول الله تعالى في سورة الرعد: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ ﴾(٢) وقولِ النبي ﷺ كما في حديث عمرانَ بن حُصين رضي الله

---

(١) سورة (٢-٣).

(٢) سورة الرعد: (٢).

عنهما الطويل، وفيه: ﴿كَانَ اللَّهُ عَلَى العَرْشِ، وَكَانَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَكَتَبَ فِي اللَّوْحِ كُلَّ شَيْءٍ يَكونُ﴾(١) إلى غير ذلك من النصوص التي فيها ذكر العرش واستواء الله تعالى عليه، فكلُّ نصٍّ من الكتاب أو السنة فيه إثباتُ صفة الاستواء على العرش فيه إثباتٌ لهذا الخلق العظيم.

وأهل السنة والجماعة يُثبِتون عرشَ الرحمن، ويؤمنون بوجوده، وخالفتْهم في ذلك الجهميَّة وأنكروه من غير حجة وبرهان، وليس لهم إلا شُبه تافهة زعموها حججاً وهي لا مقام لها في ميزان العلم والحق، مع مخالفتها لنصوص الكتاب والسنة.

ومن هذه الأقوال السُّنِّية قولُ ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾(٢) قال: كان عرش الله على الماء، ثم اتخذ لنفسه جنة، ثم اتخذ دونهما أخرى، ثم أطبقها بلؤلؤةٍ واحدة)(٣).

ويقول الإمام أبوحنيفة رحمه الله: (من قال: لا أعرِفُ ربي في السماء، أم في الأرض؛ فقد كفر؛ وكذا من قال: إنه على العرش، ولا أدري العرشُ أَفي السماء، أمْ في الأرض)(٤).

إلى غير ذلك من آثار الصحابة وأقوال السلف الصالح -رضوان الله عليهم- الدالة على إثباتهم للعرش حقيقةً وإيمانِهم به تصديقاً لِما ورد من نصوص الكتاب والسنة المُثْبتة للعرش.

---

(١) سبق تخريجه في المبحث العشرين من هذا الفصل.

(٢) سورة هود: (٧).

(٣) رواه البيهقي في: البعث والنشور: (ص١٦٠ برقم ٢٢١). والحاكم في مستدركه مع التلخيص للذهبي: (٤٧٥/٢) وصححه.

(٤) نقل نحو هذا اللفظ عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى: (٤٨/٥) ؛ وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية: (ص٩٩) ؛ والذهبي في العلو للعلي الغفار: (ص١٣٥ برقم ٣٦٣) ؛ وابن قدامة في العلو: (ص١٧٠) ؛ وابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية: (ص٢٨٨).

* تقرير الشيخ بديع الدين السندي لعقيدة أهل السنة فيما يتعلق بهذا المبحث:

قد ورد ذكر العرش على لسان الشيخ مرات وكرات، مما يدل دلالة قطعية بأنه يثبت ذلك المخلوق العظيم، فهو يثبت أنَّ لله تعالى عرشاً استوى عليه، وأنه عرشٌ عظيم، وقد وصفه بأوصاف ورد ذِكرها في النصوص الشرعية، وسيأتي تفصيل ذلك كله في مقامه، وأما هاهنا فسأستهلُّ من تقرير الشيخ بذكر الأدلة التي استدل بها على العرش.

- **استدلاله من الآيات القرآنية على ثبوت العرش:**

ذكر الشيخ السندي رحمه الله تعالى عدداً من الآيات القرآنية فيها ذكر العرش، استدل بها على ثبوته، واستدل بثبوته على علو الباري تعالى، فقد ذَكر -في سياق ذكره لأنواع الأدلة القرآنية على صفة العلو- النوعَ الثالث، فقال معنوِناً عليه: (الآيات التي فيها ذِكر عَرْش الله تعالى العظيم)[1].

ثم ذهبَ يَسرِد تحته تلك الآيات التي فيها إثبات عرشِ الرحمن جلَّ جلاله، والآيات التي أورَدها هي كما يلي:

١. قال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾[2].

٢. وقال تعالى ذِكره: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾[3].

٣. وقال تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[4].

---

(١) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٧ مخطوط).

(٢) سورة التوبة: (١٢٩).

(٣) سورة هود: (٧).

(٤) سورة الأنبياء: (٢٢).

٤. وقال: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴿٨٧﴾ ﴾[1].

٥. وقال سبحانه: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾[2].

٦. وقال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾[3].

٧. وقال تعالى: ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾[4].

٨. وقال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[5].

٩. وقال تعالى وتمجَّد: ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾[6].

وكذلك ذكرَ الشيخ الآيات التي فيها ذِكرُ حمل الملئكة للعرش، وستأتي هذه الآيات في ذكر أوصاف العرش، وسيأتي ذكر هذه الآيات في ذكر أوصاف العرش.

وجميع هذه الآيات أوردها الشيخ لأن فيها إثبات العرش، فهي دليل على وجود العرش، وأن الله تعالى ربُّه، وأنه عرش عظيم، وفيها أن عرشَه تعالى كان على الماء.

- **استدلاله من أحاديث الرسول ﷺ على وجود العرش:**

واستدلَّ الشيخ السندي رحمه الله تعالى على ثبوت العرش ووجوده بالأحاديث كما استدل عليها من القرآن الكريم انطلاقاً من منهجه في الحديث النبوي أنه لا تعارض

---

(١) سورة المؤمنون: (٨٦-٨٧).

(٢) سورة المؤمنون: (١١٦).

(٣) سورة النمل: (٢٦).

(٤) سورة غافر: (١٥).

(٥) سورة الزخرف: (٨٢).

(٦) سورة البروج: (١٥-١٦).

بين صحيحه وبين كتاب رب العالمين، المبيَّن في قوله حيث يقول: (إيمانُنا: أنه لا يمكن أن يخالفَ قولٌ من أقوال رسولِ الله ﷺ القرآنَ الكريم، وهذا أيضاً حقٌّ أن الحديثَ الصحيح لا يخالِفُ القرآنَ الكريم)[1].

فمن تلك الأحاديث النبوية التي استدل بها الشيخ على وجود العرش: حديثُ أبي سعيدٍ الخدري[2] رضي الله عنه قال قال رسولُ الله ﷺ : ﴿لا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ، أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فَإِذَا مُوسَى مُتَعَلِّقٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلا أَدْرِي أَفِي الصَّعْقَةِ الأُولَى بُعِثَ، أَمْ بَعْدِيْ ﴾[3].

ثم قال الشيخ تعليقاً على الرواية المذكورة: (وفيه ذكر قوائِمِ العَرش)[4].

قلتُ: وإثباته العرشَ في هذه الجملة على هذا الوجه إثبات لأصل العرش وقوائمه، ويدلُّ على أنّ إثباته للعرش على حقيقته، ففيه رَدٌّ على مَن زَعم من الفلاسفة وأهل الكلام أنه فلَك من الأفلاك، أو أنه الفلَك التاسع، أو أنه بمعنى المُلْك، إلى غير ذلك

---

(١) القضاء والجزاء بأمر الله متى يشاء: (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٣١).

(٢) أبو سعيد الخدري: هو سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الأنصاري، استصغِر بأُحد، وغزا ما بعدها، وروى عن النبي ﷺ الكثير، وروى عن الخلفاء الأربعة وغيرهم، وروى عنه من الصحابة ابن عباس وابن عمر وآخرون؛ كان من أفقه أحداث الصحابة، مات سنة أربع وسبعين، وقيل غير ذلك. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر: (٢٩٣/٤-٢٩٧ برقم ٣٢١٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة: (١٢٠/٣-١٢١ برقم ٢٤١١ ، ٢٤١٢) ، وكتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾: (٣٤١٤/٤) ؛ ومسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام : (١١١٣/٢-١١١٤ برقم ٢٣٧٣ ، ٢٣٧٤).

(٤) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٦٤ ، ٧٩ مخطوط).

من هفَوات الفلاسِفة وتُرَّهاتهم، كما سيتضح أيضاً فيما يأتي من تقريره لصفات العرش.(١)

وكذلك نقل الشيخ رحمه الله عن كتاب «العلو للعلي الغفار» للإمام الذهبي أنه أخرج السُّدِّي(٢) عن مُرَّة الطيِّب(٣) عن ابن مسعود، وعن أبي مالك(٤)،

---

(١) انظر للتفصيل: دراسة محمد التميمي على كتاب العرش لابن أبي شيبة: (ص٧٥) ؛ وشرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز الحنفي: (ص٢٧٨-٢٧٩) ؛ وما دل عليه القرآن: للآلوسي: (ص٩٥).

(٢) السُّدِّي: هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كَرِيمة، المعروف بالسُّدِّي، أبو محمد، كوفي تابعي، المفسر المشهور، أدرك جماعة من الصحابة؛ ممن يروي عنهم أنس بن مالك، وعبد خير؛ وممن روى عنه الثوري وشعبة؛ توفي سنة سبع وعشرين ومائة. انظر: الأنساب: للسمعاني: (٣/٢٣٨)؛ والكامل: لابن عدي: (١/٤٤٦-٤٤٩ برقم١١٦).

(٣) هو مُرَّة بن شَرَاحِيل الهَمْداني، أبو إسماعيل الكوفي، يقال له: مرة الطيب. ثقة عابد؛ من كبار التابعين، روى عن الصحابة منهم: عبد الله بن عثمان بن عامر؛ مات سنة ست وسبعين وقيل بعد ذلك، من رجال الجماعة. انظر: موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعِلله: (٣/٣٣٦ برقم٣٠٦٨) ؛ وتقريب التهذيب: لابن حجر العسقلاني: (ص٩٣٠) ؛ والإصابة في تمييز الصحابة: (٦/٢٧٢).

(٤) أبو مالك هو: الغفاريّ، يقال: هو غزوان. روى عن ابن عباس، وابن أبزى؛ مشهور بكنيته، تابعيٌّ معروف، ثقة، من الثالثة؛ أرسل حديثاً فذكره العسكري في الصحابة! أخرج له البخاري تعليقاً وأبو داود والترمذي والنسائي. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر: (١٢/٦٤٨ برقم١٠٧٣٠) ؛ وتقريب التهذيب: له: (ص٧٧٦ برقم٥٣٨٩) ؛ والتاريخ الكبير: للبخاري: (٧/١٠٨ برقم٤٨٣).

وأبي صالح[1]، عن ابن عباس، وعن مُرّة عن ناس من أصحاب النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾[2]: ﴿ إنَّ اللهَ كان على عرشِهِ على الماء، و لم يَخلقْ شيئاً قبلَ الماء، فلمَّا أراد أنْ يخلقَ الخلْقَ، أخرَجَ مِن الماء دُخاناً، فارتفعَ فوق الماء فسَمَا عليه، فسمَّاه سَمَاءً، ثمَّ أيبس الماء فجعله أرضاً، ثم فتَقَها فجعلَها سبعَ أراضين ﴾ إلى أن قال: ﴿ فلمَّا فرَغَ اللهُ مِن خلقِ ما أحبَّ استوى على الْعَرش ﴾[3].

ففيه إثبات للعرش، كما قال الشيخ تعليقاً على هذا الحديث: (وفيه ذكر اتفاق جماعة الصحابة -رضي الله عنهم- أن عرش الله تعالى كان على الماء قبل الخلق، ثم استوى على العرش بعد أن خلَقَ الخلق)[4].

---

(١) أبو صالح هو: باذام مولى أم هانئ بنت أبي طالب، وقيل: باذان. كان من علماء النسب، أخذه عن عقيل بن أبي طالب ، وأخذ عنه النسب محمد بن السائب؛ حدث عن علي وابن عباس؛ وروى عنه إسماعيل بن أبي خالد، والسُّدِّي، وسماك بن حرب. ضعيف مدلس، من الثالثة، أخرج له الأربعة. انظر: طبقات النسابين: لبكر أبي زيد: (ص٤٠ برقم ٦٨) ؛ وفتحُ الباب في الكنى والألقاب: لابن مندة: (ص٤٢٨ برقم٣٨٧٦) ؛ وانظر: تقريب التهذيب: لابن حجر: (ص١٦٣).

(٢) سورة البقرة: (٢٩).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: (٤٦٢/١-٤٦٣) ؛ والذهبي في العرش: (١٤٠/٢-١٤١ برقم١١٩) ؛ وقد تكلم أحمد شاكر رحمه الله على هذا السند مطولاً، ثم ختمه بذكر تصحيح الحاكم له، وذلك في تحقيقه على جامع البيان للطبري: (١٥٦/١-١٦٠) ؛ حيث قال: (فأما هذا الخبر بعينه، فقد رواه الحاكم في المستدرك [٢٥٨/٢]، بالإسناد الذي أشرنا إليه من رواية السُّدِّي عن مُرّة عن ابن مسعود، وعن أناس من الصحابة. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، و لم يخرجاه. وافقه الذهبي" هكذا قال، و لم أجده في الموضع المذكور ولا غيرِه في المستدرك بعد البحث. وأورده السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٢٣٠/١-٢٣٢)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٤) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٧٩ مخطوط).

فبين الشيخ أن الحديث دلَّ على أن العرش موجود قبل وجود الخلق، وأنه كان على الماء، ثم استوى الرب تعالى عليه بعد أن خلَق الخلق.

وكذلك هناك نصوص نبوية أخرى غير ذلك، استدلَّ بها الشيخ على ثبوت العرش، اكتفيتُ بما ذكرتُ مخافة الإسهاب، ولأنه يكفي للمقصود.

فهذه هي بعض من نصوص الوحي —الكتاب والسنة- التي ذكرها الشيخ السندي رحمه الله، واستدل بها على هذا المخلوق العظيم الذي هو العرش، وأنه كان على الماء، ثم استوى الله تعالى عليه، فحَرِيٌّ بالمسلم أن يؤمن بها ويعتقد بما دلَّتْ عليه مِن إثبات العرش وأوصافه، كما قال الشيخ رحمه الله: (علينا إذا سمِعنا كلامَ الله تعالى ورسولِه -ﷺ- أن نؤمنَ به)[1] فلا يجوز للعبد المسلِم أن يخالف ويعارض ما ثبت بالقرآن والحديث بغيره، بل يجب التسليم لأخبارهما والتصديق بهما على مراد الله ورسوله ﷺ من غير إحساس حرَج فيه ولا رَيب.

ذِكرهُ لِأَوصافِ العَرش وخصوصيَّاتِه:

العرش مخلوق من مخلوقات الله تعالى فوق سماواته، وهو سبحانه مستو على عرشه كما أخبر سبحانه بذلك، وقد ذكر الشيخ السندي رحمه الله للعرش بعضاً من أوصافه، وهذه الأصاف وردت في أقوال السلف نقلها الشيخ عنهم في سياق التأييد من غير إنكار لها، مما يدل على إثباته إياها.

وقد وقع مثل هذا كثيراً في منهج الشيخ، حيث يذكر نصوصَ القرآن والسنة أو أقوالَ سلف الأمة في إثبات شيء تحت عنوان معيَّن، ويسرِد ذلك سرداً من غير تعليق عليه، ولا تعقيب، وهو كأنه يريد بذلك الاكتفاء بما ورد من النصوص وكلام السلف، وربط الناس به من غير زيادة ولا نقصان.

---

(١) القضاء والجزاء بأمر الله متى يشاء: (أردو): لبديع الدين السندي: (ص٥٤).

ففيما يلي أذكر تلك الأوصاف التي أوردها الشيخ للعرش:

أ- العرش محمول من الملئكة[1]:

وقد ذكر الشيخ ثلاثاً من الآيات القرآنية التي تدل على هذا المعنى، وهي:

١. قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[2].

٢. ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾[3].

٣. ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾[4].

وأردف الشيخ هذه الآيات بذكر قول الإمام البيهقي رحمه الله أنه قال بعد أنْ ذكر هذه الآيات الكريمات وغيرَها: (وأقاويلُ أهلِ التفسير على أنَّ العَرش هو السَّرير، وأنه جِسمٌ مُجَسَّم، خلقه الله تعالى وأمرَ ملائكته بحمله، وتعبَّدَهم بتعظيمه والطواف، كما خلق في الأرض بيتاً وأمر بني آدم بالطواف واستقباله في الصلاة، وفي أكثر هذه الآيات دلالةٌ على صحة ما ذهبوا إليه، وفي الأخبار والآثار الواردة في معناه دليل على صحة ذلك)[5].

قلت: وفي قول البيهقي رحمه الله هذا مزيدُ ذكرٍ لأوصاف العرش غيرَ كونه محمولاً من الملئكة، أمرهم بذلك ربهم، وهي:

ب- أن العرش هو السرير.

---

(١) انظر: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٨ مخطوط).

(٢) سورة الزمر: (٧٥).

(٣) سورة غافر: (٧).

(٤) سورة الحاقة: (١٧).

(٥) الأساء والصفات: للبيهقي: (٢/٢٧٢).

ج- وأنه جسمٌ مجسَّم.
د- وأنه مخلوقٌ من مخلوقات الله تعالى.
هـــ- وأنه معظَّمٌ من الملئكة، تعبَّدهم بتعظيمه وبالطواف به ربُّهم.

فهذه هي أوصافٌ خمسة وصف العرشَ بها الإمام البيهقيُّ رحمه الله في ضوء الآيات القرآنية في قوله هذا، وقد نقله الشيخ عنه في سياق التأييد له، مما يدل على اعتقاده بها.

وأشار الشيخ في موضع عند ذكره للعرش وحملته أن الله تعالى لا يحتاج إلى أولئك الحملة، حيث كلَّفهم بحملهم للعرش، وإنما الله تعالى وتعاظم تَعبَّدَهم بذلك، وهو غنيٌّ عنهم وعن العرش، وهم لا يَعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمَرون؛ يقول الشيخ رحمه الله في وصف الرب تعالى: (إنه فوق سماواته على عرشه، وهو الذي بأمرِه وقُدرته يقوم العرش وحمَلَتُه)[1].

فلا ينبغي التوهم بأن تكليف الله تعالى للملئكة بحمل عرشه لحاجة منه إليه، بل الشأن أنهم لحمْلِه بحاجةٍ وفقرٍ إلى عون ربهم سبحانه.

وكذلك مما وصفه به الشيخ:

و- بأنه في العُلوِّ فوقَ السَّماوات[2]:

حيث يقول رحمه الله في سياق ذكر الأدلة على علو الباري تعالى أنَّ منها: (الآيات التي فيها بيانٌ واضحٌ أن الله تعالى على العرش الذي هو فوق السماوات ...)[3].

وقال أيضاً في موضع آخر: (وفي العرشِ ذاتِه معنى العُلُوّ، كما مَرَّ، وسيأتي أيضاً تصريحه في الأحاديث)[4].

---

(١) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٦٥ مخطوط).

(٢) انظر: المرجع نفسه: (ص٧-٨ ، ١٠ مخطوط).

(٣) المرجع نفسه: (ص١٠ مخطوط).

(٤) المرجع نفسه: (ص٧ مخطوط).

قلتُ: وقد تقدَّم تفصيل ذلك وتَبْيينه في مبحث العلو قريباً، وأذكر هنا آية واحدة استدل بها الشيخ على علو العرش كمثال، وهي قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ ﴾[1].

ووجه الاستدلال بالآية المذكورة أنه ذُكر فيها رفعة السماء وعلوه، وقد ثبت من النصوص الشريفة أن عرش الله تعالى فوق السماء، فهما مقدمتان كلتاهما ثابتتان من نصوص الوحي، يَثبُت منهما أن العرش في العلو فوق السماء؛

يقول الشيخ رحمه الله بعد ذكره للآية سابقة الذكر وأمثالها من الآيات: (وقد ثبت فيما سبق -وسيأتي ثبوته أيضاً في الأحاديث- أن عرش الباري تعالى فوق السماوات)[2].

وقد نقل الشيخ أيضاً في تأييد هذا المعنى للعرش -أنه في العلو، وأن مما يدل على علوه لفظُه- بعضاً من أقاويل أهل العلم والتفسير، فقال نقلاً عن الإمام أبي بَكرٍ الآجُرِّي أنه قال: (والذي يَذهب إليه أهل العلم: أنَّ الله عزَّ وجَلَّ[3] على عرشِه فوقَ سماواته، وعلمُه محيطٌ بكلِّ شيء ...)[4].

ونقل عن ابن كثير رحمه الله أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝١٢٩ ﴾[5] قال: (أيْ: هو مالكُ كل شيء وخالقُه، لأنه ربُّ العَرشِ العظيم، الذي هو سَقفُ المخلوقات ...)[6].

---

(١) سورة الرحمن: (٧).

(٢) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٢ مخطوط).

(٣) هنا في المصدر الأصل إضافة لفظ: (سبحانه).

(٤) الشريعة: للآجري: (٦٦/٢).

(٥) سورة التوبة: (١٢٩).

(٦) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: (٢٤٣/٤).

ونَقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في سبب تسمية العرش: (إنما سُمِّي العرشُ عرشاً لارتفاعه...)[1].

ونقل أيضاً عن النسفي[2] رحمه الله أنه قال في تفسير آية سورة البروج: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝١٥﴾[3] قال: (.. ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾: خالقُه ومالِكُه. ﴿الْمَجِيدُ﴾: وبالجرّ: حمزةُ[4]، وعليٌّ[5]، على أنه . . . . . .

---

(١) المصدر السابق: (٣٠٧/٤).

(٢) النسفي هو: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، من بلاد السغد، الحنفي، له مصنفات في الفقه والأصول والتفسير، منها: «المصفى في شرح المنظومة»، و«كتر الدقائق»، وغير ذلك؛ تفقه على شمس الأئمة محمد الكردري، وعلى حميد الدين الضرير؛ سمع منه السغناقي؛ توفي سنة عشر وسبع مائة، وقيل إحدى وسبع مائة. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: لابن حجر: (٢٤٧/٢ برقم ٢١١٨) ؛ والفوائد البهية في تراجم الحنفية: لعبد الحي اللكهنوي: (ص١٠١-١٠٢).

(٣) سورة البروج: (١٥).

(٤) حمزة: هو بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام، أبو عمارة الدؤلي التيمي، أحد القراء السبعة، أحكم القراءة وله حمس عشرة؛ أدرك الصحابة بالسن لا بالأخذ، قرأ القرآن عرضاً على الأعمش، وحمران بن أعين، وآخرين؛ وقرأ عليه الكسائي وسليم بن عيسى —وهما أجل أصحابه- وعدة؛ وثقه ابن معين، مات سنة ست وخمسين ومائة. انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: للذهبي: (٢٥٠/١-٢٦٥ برقم ٥١).

(٥) علي هو: أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي مولاهم، الكوفي المقرئ النحوي، المشهور بالكسائي، ولد في حدود العشرين ومائة، وسمع من جعفر بن محمد، والأعمش، وجماعة يسيرة، وقرأ القرآن على حمزة الزيات وغيره؛ قرأ عليه أبو عمر الدوري، وأبو الحارث الليث، وخلق سواهم؛ من تصانيفه: «معاني القرآن»، و«كتاب القراءات»، وغيرها، وعامتها فُقدت مع الزمن؛ مات سنة تسع وثمانين ومائة. انظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: للذهبي (٢٩٦/١-٣٠٥).

صفةُ العرش[1]. ومَجْدُ الله: عظمتُه. ومجدُ العَرش: علوُّه وعَظَمتُه)[2].

إلى غير ذلك من أقوالِ العلماء في تفسير العرش وبيانِهم أنه في العلو، فوق السماوات، وأوضحُها قولُ ابن عباس رضي الله عنهما في سبب تسمية العرش باسمه، وهذا فيه أيضاً تأييدٌ لِما ذكره الشيخ من معنى العلو في لفظ العَرش.

ز- وكذلك من أوصافه أنه كريمٌ؛ أي: حَسَن المنظَر، بَهِيّ الشكل[3]:

وقد وصف الله تعالى عرشَه في القرآن المجيد بذلك في قوله: ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ۝١١٦ ﴾[4]، ونقل الشيخ في تفسير هذه الآية بعد أن أورد قولَ الإمام ابن كثير رحمه الله أنه قال: (فذَكر العرش؛ لأنه سقفُ جميعِ المخلوقات، ووصفه بأنه كريم، أي: حسن المنظر بهيّ الشكل، كما قال تعالى: ﴿ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝١٠ ﴾[5] ..)[6] وكذا ذَكر عن الخازن[7] رحمه الله تعالى أنه قال

---

(١) في المصدر الأصل: (على أنه صفة للعرش).

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: لأبي البركات النسفي: (٦٢٥/٣).

(٣) انظر: خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٨ مخطوط).

(٤) سورة المؤمنون: (١١٦).

(٥) سورة لقمان: (١٠).

(٦) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير: (٥٠٠/٥).

(٧) الخازن هو: علي بن محمد بن إبراهيم، علاء الدين أبو الحسن البغدادي، خازن الكتب بالخانقاه السميساطية، مولده سنة ثمان وسبعين وستمائة؛ سمع من ابن الدواليبي، ووزيرة بنت عمر، وآخرين؛ جمع وألف أشياء وحدث ببعضها، فمن ذلك: «شرح عمدة الأحكام»، و«مقبول المنقول»؛ وكان صوفياً بالخانقاه المذكورة؛ توفي سنة إحدى وأربعين وسبعمائة. انظر: طبقات الشافعية: لابن شهبة: (٥٣/٣-٥٤ برقم ٦٠٤) ؛ والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: لابن حجر: (٩٧/٣ برقم ٢٢١).

في تفسيره: (أي: الحسن؛ وقيل: المرتفع[1])[2].

فالعرش كريمٌ لِحُسنه وبهائه وارتفاعه؛ وكذلك هو كريم لتزول الخير والرحمة منه، وقد يكون وُصِف بذلك لاستواء الله تعالى عليه، كما في تفسير النسفي حيث نقل عنه الشيخ السندي رحمهما الله تعالى أنه قال: (وُصف العرش بالكريم[3]؛ لأن الرحمة تترل منه، أو نسبةً إلى أكرم الأكرمين)[4].

إلى غير ذلك من أقوال المفسرين في بيان معنى الكرم الذي وُصف به العرش في الآية الكريمة المذكورة، ولا تعارض بينها، لأنه يمكن بينها الجمع، وحاصل تلك الأقوال أنه وُصف بذلك لكونه حَسَنَ المنظر بهيَّ الشكل، ولأنه في العلو، ولأن رحمة الله وخيرَه يَترِل منه، أو أنَّ وَصْفه بذلك لكون أكرم الأكرمين قد استوى عليه، فهي نسبة إليه سبحانه وتعالى.

س- وكذلك من أوصاف العرش أنَّ له قوائماً:

وقد استدلّ الشيخ على هذه الصفة بقول النبي ﷺ : ﴿أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فَإِذَا مُوسَى مُتَعَلِّقٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ﴾[5] يقول الشيخ تعليقاً على هذا الحديث: (وفيه ذِكرُ قوائِمِ العرش)[6].

---

(١) في المصدر الأصل: (وقيل: الرفيعُ المرْتَفع).

(٢) لباب التأويل في معاني التتريل: للخازن: (٢٧٨/٣).

(٣) في المصدر الأصل: (وصف العرش بالكرم ... أو: لنسبته إلى ...).

(٤) مدارك التتريل وحقائق التأويل: للسفي: (٤٨٤/٢).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٦٤ مخطوط).

ش– ومن أوصاف العرش وخصوصِيَّاتِه أنه في مكان لا يَصِل عليه أحدٌ، والربُّ سبحانه مستوٍ عليه:

يقول الشيخ السندي رحمه الله في سياق ذكر أنواع الأدلة على علوِّ الله سبحانه: (الآيات التي فيها بيان واضح أن الله تعالى على العرش الذي هو فوق السماوات، ولا أحدَ يستطيع الوصول هنالك)[1]

وقد استدلَّ الشيخ السندي رحمه الله تعالى على ذلك بقول الله سبحانه في سورة الإسراء: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾[2] حيث قال تعليقاً على هذه الآية: (في هذه الآية الكريمة بيان جلي – علاوةً على كونها بياناً أن الله تعالى على العرش– أنه بائنٌ من الخلق، ولَن يَصِلَ إلى عرشه أحد ...)[3].

إلى أن قال: (ونظيرها آية أخرى: قال تعالى: ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[4]..).

ثم قال: (وما يذكره عامّة الواعظين في قصة المعراج أن رسول الله ﷺ لما وصل العرشَ ذَهب يَنزِع نَعلَيه، فأُمِر: أنِ اصعَدْ مع نَعلَيك؛ فإنما هو افتراءٌ لا ثبوتَ له، وهذه الآيات تُكذِّب ذلك، ولو كان مِن المُمْكِن لِأَحدٍ أن يصِل إلى العرش لَما أمَر الله نبيه ﷺ أن يعرِض للناس هذا التحدي.

---

(١) انظر: المرجع نفسه: (ص١٠ مخطوط).

(٢) سورة الإسراء: (٤٢–٤٣).

(٣) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٠ مخطوط).

(٤) سورة المؤمنون: (٩٠–٩١).

بل إنَّ هذا الاعتقاد أنَّ هنالك مَن قد تمكَّن مِن الوصول إلى العرش بمثابة تأليهه، وقد وضَّح هذا الأمر الإمامُ نجمُ الدِّين الغِيطي[1] في «رسالة المعراج»، ثم قال في آخرها: "وما ذكر في السؤال -يعني المتقدِّم- مِنْ أنَّه ﷺ رَقَى العرشَ بنَعله؛ فقاتل الله مَن وضَعه، ما أعدمَ حياءه وأدبه!.. ما[2] أجرأه على اختلاق الكذب على سيِّدِ المتأدِّبين رأسِ[2] العارفين!.. ﷺ والله أعلم بالصواب"[3])[4].

فتبيَّن من ذلك أن العرش من خصوصياته أن الله تعالى مستوٍ عليه استواء حقيقياً يليق بجلاله، وهو أمرٌ يختص به العرشُ دون سائر المخلوقات، كما بَيَّنه الشيخ السندي في التعليق على ما نُسب إلى ابن عباس رضي الله عنهما من تأويل الاستواء إلى معنى ارتفاع الذكر، أو تأويله إلى استواء أمره وقدرته على بريته؛ حيث يقول : (التأويل المذكور في الرواية الأولى والثانية باطل؛ لأن ارتفاعَ ذِكره، واستواءَ الأمر والقدرة يعم جميعَ الأشياء، فأي خصوصية في ذلك للعرش؟!

---

(١) هو: نجم الدِّين محمد بن أحمد بن علي بن أبي بكر الغِيطي، نسبة إلى غيط العدة، أو أبي الغيط، السّكَنْدري المصري الشافعي، رأس من رؤوس التصوف، ولد في أثناء العشر الأول من القرن العاشر، قرأ على السيد كمال الدين بن حمزة، وعلى الكمال الطويل، وغيرهما؛ من مؤلفاته: «القول القويم في إقطاع تميم»، و«المعراج»، توفي سنة أربع وثمانين وتسع مائة. انظر: شذرات الذهب: لابن العماد: (١٠/٥٩٥-٥٩٦) ؛ والكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة: لنجم الدين الغزي: (٣/٤٦-٤٨ برقم ١٢٤٧) ؛ والأعلام: للزركلي: (٦/٦).

(٢) في المصدر الأصل زيادة حرف الواو في الموضعين.

(٣) المعراج الكبير: لنجم الدين الغيطي: (ص١٢٦) ؛ والقول ليس من مقالة المؤلف، وإنما هو نقل نقله عن بعض المحدِّثين لم يُسمِّهم.

(٤) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٠ مخطوط).

ولا تصِحُّ أبداً نسبةُ مثلِ هذا التأويلِ الغلط الذي لا معنى له إلى مفسِّر للقرآن كابن عباس ﷺ ، والذي خصَّه الرسول ﷺ بأنْ دعا له بقوله: ﴿اللّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ، اللّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ﴾[1] أخرجه البخاري)[2].

ومقصود هذه العبارة: أنَّ استواء الله تعالى على عرشه الذي هو علوه وارتفاعه عليه من الخصوصيات التي تميز بها العرش دون غيره، والقول بتأويل الاستواء إلى معنى آخر لا يُبقِي للعرش أيَّةَ مِيزة أو خصوصية على غيره من المخلوقات.

ص– ومن أوصافه أيضاً أنه كانَ على الماء فوقَ السَّماوات قبلَ خلقِ الخلْق:

وفي هذا يقول الشيخ رحمه الله: (وأخرج الذهبي معلَّقاً عن عبد الله بن عمرو قال: ((جعل الله فوق السماء السابعة الماءَ، وجعل فوق الماء العرش...)) الحديث وصله البَيهقي في «الأسماء والصفات»[3]).

ثم قال الشيخ في الاستدلال بهذا الأثر: (فيه أن على السماء السابعة الماءُ، وفوقه العرش)[4].

---

(١) روى البخاري الجملة الأولى منه في موضعين من صحيحه: كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ ﴿اللهمَّ عَلِّمْه الْكِتاب﴾ : (٢٦/١ برقم ٧٥) ، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: (٩١/٩ برقم ٧٢٧٠). والجملةَ الثانية في: كتاب فضائل الصحابة، باب ذِكر ابن عباس رضي الله عنهما: (٢٧/٥ برقم ٣٧٥٦).

(٢) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٠٧ مخطوط).

(٣) أخرجه الذهبي في العلو للعلي الغفار: (ص٦١-٦٢ برقم١١٣) وقال: "هذا حديث موقوف" ؛ والبيهقي في: الأسماء والصفات موقوفاً: (٢٩٢/٢ برقم٨٥٣). وصحَّحَ إسنادَه الألباني في مختصر العلو: (ص٦٧ برقم٣٥).

(٤) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٧١ ، ٧٩ مخطوط).

وقال في موضع آخر: (لما لم يكن شيء، لا أرض ولا سماء كان الله تعالى على العرش)[1] فعرش الله كان موجوداً قبل أن يخلق الله السماوات والأرض.

ض- العرش لا يقدر أحد قدره إلا خالقه:

يقول الشيخ رحمه الله في بيان ذلك: (لا يَقدر أحدٌ قدرَ العرش سِوى الله تعالى؛ كما في الحديث الثامن والثلاثين بعد المائة)[2].

وذكر تحت هذا الرقم قول ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك، فقال: (وأخرج الدارمي عثمان في الرد على بشر المريسي[3] عن ابن عباس قال: ((الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، . . . . .

(١) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السند: (ص٧٩ مخطوط).

(٢) المرجع نفسه: (ص٧٩-٨٠ مخطوط).

(٣) هو بشر بن غياث بن أبي كَرِيمة المَرِيْسِي، نسبة إلى مَرِيس، قرية بأرض مصر، المعتزلي، تفقه على القاضي أبي يوسف، واشتغل بالكلام، وجرد القول بخلق القرآن، حُكي عنه أقوال شنيعة، ومذاهب مستنكرة، قال العلماء بزندقته، وقد أسند من الحديث شيئاً يسيراً عن ابن سلمة وابن عيينة وأبي يوسف القاضي، وعنه أخذ حسين النجار مذهبه؛ مات سنة ثمان عشرة ومائتين. انظر: تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي: (٧/٥٣١-٥٤٥ برقم ٣٤٦٩) ؛ والجواهر المضية في طبقات الحنفية: لعبد القادر الحنفي: (٤٤٧-٤٥٠ برقم٣٧).

وَالْعَرْشُ لَا يقدرُ أَحَدٌ قَدْرَهُ إلا اللهُ))[1] ...)[2].

وهذا وإن كان موقوفاً على ابن عباس ﷺ إلا أنه يحتمل أن يكون قد سمعه من النبي ﷺ ، لكونه من الأمور الغيبية التي لا يسوغ في مثلها الاجتهاد، ولا مجال للعقل فيها، كما قال الشيخ بديع الدين السندي بعد أن نَقل عن الإمام الذهبي رحمهما الله عدداً من نصوص الوحي في إثبات علوِّ الله تعالى على عرشه من كتابه «العلو»، قال: (قد ذكر الإمام الذهبي في هذا الكتاب آثاراً من الصحابة، ننقلها كذلك في هذه السلسلة، لأنه وإنْ كانت هذه الروايات موقوفةً لفظاً إلا أنها مرفوعة حُكماً، لأنه لا دخل للرأي في مثل هذه المسائل، ولذلك تكون أمثال هذه الروايات محمولة على السماع؛ كما تقرر في الأصول)[3] والله تعالى أعلم.

فهذه هي الأوصاف التي ذكرها الشيخ رحمه الله للعرش ونقلَها عن السلف، وإثباتُه لها يدُلُّ على أنَّ إثباتَه للعرش إثباتٌ على حقيقته، فهو عنده عرشٌ موصوف بأنه يُحمَل، تَحْمِله الملئكة، وهو جِسمٌ من الأجسام المخلوقة العِظام في العلو، بل هو أعلاها

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في العرش: (ص٤٣٧-٤٣٨ برقم ٦١) ؛ وابن خزيمة في التوحيد: باب ذكر استواء خالقنا العلي الأعلى: (٢٤٨/١ برقم ١٥٤) ؛ وعبد الله ابن الإمام أحمد في السنة: (٣٠١/١ برقم ٥٨٦) ؛ والحاكم في المستدرك: كتاب التفسير: من سورة البقرة: (٣١٠/٢ برقم ٣١١٦) ؛ وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه". ورواه الدارمي في الرد على بشر المريسي: (ص٦٧) ، وصححه؛ ورواه الذهبي في العلو للعلي الغفار: (ص٧٦ برقم ١٦٣) وقال: "رواته ثقات" ؛ وصححه أيضاً الألباني في مختصر العلو: (ص ١٠٢) ؛ وقال في تحقيقه لشرح العقيدة الطحاوية (ص٢٧٩): "صحيح موقوفاً، وأما المرفوع فضعيف"، وانظر أيضاً تحقيقه على كتاب: ما دل عليه القرآن: لمحمود شكري الآلوسي: (ص٩٨).

(٢) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٧٢ مخطوط).

(٣) المرجع نفسه: (ص٦٩ مخطوط) ؛ وانظر كتاب: بيان تلبيس الجهمية: لابن تيمية: (٥٠٢/٤-٥٠٣).

وأعظمها، حيث هو سقف جميع المخلوقات، وأنه كان على الماء قبل خلق السماوات، إلى غير ذلك من أوصافه التي ذكرها الشيخ، والتي تدلُّ على أنه عرشٌ على حقيقته، وليس المراد منه ما تقدَّم من تحريف أهل الفلسفة والكلام من قولهم: أنه الفلَك، أو أنه عبارة عن المُلْك.

ولا كما وصفه أهلُ البِدَع بأنَّ المراد من العرش هو قلبُ المؤمن، فوضعوا لذلك حديثاً نسبوه إلى رسول الله ﷺ كذباً وزوراً أنه قال: ﴿قَلْبُ الْمُؤْمِنِ عَرْشُ الرَّحْمنِ﴾[1].

وهو حديثٌ لا أصل له، كما قال الشيخ السندي رحمه الله تعليقاً على ألفاظ هذه الرواية: (لا وجودَ لهذه الألفاظ قطعاً)[2] فهي ألفاظ موضوعة مختلَقة، ومما يدل على بُطلانِ هذا الاعتقاد واختلاق هذه الرواية حديثُ أمِّ المؤمنينَ عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ﴿مَا رَفَعَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ رَأْسَهُ إِلى السَّمَاءِ إِلّا قَالَ: يَآمُصَرِّفَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِيْ عَلَى طَاعَتِكَ﴾[3].

---

(١) هو حديث موضوع لا وجود له في دواوين السنة، وقد أورده العجلوني في: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس: (٢/١٠٠ برقم ١٨٨٦).

(٢) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٠٢ مخطوط).

(٣) خرَّجه أحمد في مسنده: (١٥/٢٤٦ برقم٩٤٢٠)؛ والذهبي في العلو للعلي الغفار: (ص٢٧) ؛ وأبو يعلى في مسنده: (٨/٢٤٥ برقم٤٨٢٤) ؛ وقال محققه حسين أسلم أسد: "وإسناده ضعيف ... والحديث صحيح" ؛ أي: هو حديث صحيح لغيره من شواهده، وإسناده ضعيف. وكذا ضعف سنده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: (٩/٢٠٧ برقم٤١٩٥) وانظر أيضاً: تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرْشد على مسند أحمد في الموضع المذكور منه.

يقول الشيخ في وجه الاستدلال من هذا الحديث: (فيه قول أكمل أهل الإيمان ﷺ وهو ينظر إلى السماء: ﴿يَآمُصَرِّفَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى طَاعَتِكَ﴾ ... ويَبطل به القول: أن قلبَ المؤمن عرشُ الله؛ سبحانَ الله عما يصِفون)[1].

وثبت بذلك أن عرشَ الرحمن هو عرشٌ على حقيقته ذو صفاتٍ مذكورة، وليس هو كما وَصَفه به أهل البِدَع من كونه قلبَ المؤمن، أو غير ذلك.

- **بيانُه أنَّ الربَّ تعالى مستغنٍ عن العَرش:**

تقدَّم من تقريرِ الشيخ السندي رحمه الله أن العرش مخلوق من الخلائق التي أوجدها الله سبحانه وتعالى، وما دام الأمر كذلك فإن الله تعالى مستغنٍ عن جميع المخلوقات، ولا يحتاج إلى شيء منها، كما قال تعالى شأنه: ﴿ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[2] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[3].

وقد مرَّ أيضاً من تقرير الشيخ السندي أن الله تعالى مستوٍ على عرشه العظيم الذي هو أعظمُ المخلوقات وأعلاها؛ فبيَّن الشيخ أنّ استواءه تعالى على ذلك العرش لا يدل على أنه سبحانه بحاجة إليه، أو أنه تعالى خلَقه لِيَحملَه ويقيله، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، بل إن العرش إنما هو قائمٌ بقدرة الرَّب وأمرِه سُبحانه.

يقول الشيخ في بيان هذا الأمر: (ليس هذا من عقيدتِنا أنه حالٌّ في عرشه، أو أنَّ العرش يقيله، أعاذنا الله من ذلك، بل نقول: إنه فوقَ سماواتِه على عرشِه، وهو الذي بأمْرِه وقُدرته يقوم العرشُ وحَمَلتُه، ولا نقول شيئاً مِن عند أنفُسِنا، بل نَصِفه تعالى كما وصف به نفسه في كتابه، وعلى لسان نبيه المصطفى)[4].

---

(١) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٥٦-٨١ مخطوط).

(٢) سورة فاطر: (١٥).

(٣) سورة العنكبوت: (٦).

(٤) خالص توحيد (التوحيد الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٦٥ مخطوط) ؛ وانظر: رد الدارمي على المريسي: (ص٨٥).

فنفى الشيخ في هذا الكلام حاجة الله تعالى إلى عرشه، وذلك ليُبيِّن أن خلقه العرش لاستوائه عليه، ليس لحاجته إليه، بل لحكمة أرادها، وقد دعته الضرورة إلى نفي مثل هذا الوهم، حيث أنكرت أقوامٌ علوَّ الله على العرش زعماً منهم أنه يلزم له من ذلك المكان والحلول فيه، والرحمن منزَّهٌ عن حلول الأماكن؛ فبيَّن الشيخ أن إثباتَنا أهلَ السنة لاستواء الله على عرشه إنما هو كما يليق بجلاله، من غير إثبات الحلول في ذلك العرش، إذ العرش خلق من خلق الله تعالى، وهو سبحانه غني عن خلقه.[1]

وحاصلُ ما تقرَّر في هذا المبحث أنّ العرش جسم من الأجسام المخلوقة العظام، بل هو أعظمها، حيث لا تصل إلى عِظَمه الأفهام والأوهام، لا يعلم مقدار عظمته إلا ربُّه الذي استوى عليه، وهو لا يقوم إلا بأمر ربه وقدرته، والرب سبحانه مستغن عنه وعما دونه من خلقه، وهذا العرش موصوف في الشريعة بأوصاف تدل على حقيقته، وأمَّا ما سمتْه به مِن الفلاسفة ومَن كان على شاكلتهم مِّن أهل الكلام في انحرافهم الجادَّةَ والطريقَ المستقيم أنه فلَك من الأفلاك، أو أنَّ المراد به المُلك، وغير ذلك فما لهم في قَفْوِهِم بذلك من بُرهان ولا أثارَةٍ مِن عِلم، وإنما هو عمايات من الحُجَج، لا مقامَ لها في ميزان العلم.

والملاحِظ في هذا المبحث يجد أن الشيخ السندي رحمه الله قد استند في إثباته العرش وذِكره لأوصافه إلى أدلة شرعية ثابتة، من دون اعتماد في ذلك على ما لا يثبت، وهذا هو منهج الشيخ في سائر المباحث عند إثباته للغيبيات.

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز الحنفي: (ص٢٨٠) ؛ والأسماء والصفات: للبيهقي: (٢٧٩/٢).

المبحث الثالث والعشرون
الْكُرْسِيُّ

لَمَّا سلَفَ في المَبْحث السابق الكلامُ على العرش وأوصافِه ناسب المقام أن أذكر الكرسي بعدَه؛ لِما بَيْنَ الاثنين من علاقة متينة قوية، فالعرش استوى الله تعالى عليه، والكرسيُّ بين يدي العرش، وهو موضع القدمين، وكذلك من المناسب ذِكره بعد العرش لتتبين المباينة بيهنما، ويُعلم أنه غير العرش، لا أنه هو، كما قد قيل ذلك، وسيأتي تفصيله في هذا المبحث.

فالكرسيّ مخلوق عظيم من مخلوقات الله تعالى، وهو أصغر من العرش وتحته، وقد ورد عن السلف تفسيره أنه موضع قدَمي الرحمن تبارك وتعالى، وسأتكلم في هذا المبحث عن مجمل عقيدة أهل السنة في الكرسي، ثم تقرير الشيخ السندي لعقيدتهم في ذلك.

فمذهبُ أهلِ السُّنَّة في المراد من الكرسيِّ المضافِ إلى الرَّبِّ تبارك وتعالى أنه موضِعُ القَدَمين، كما وردَ عن ابنِ عباس رضي الله عنهما وغيرِه؛

فقد ورَدَ عن سعيدِ بنِ جُبير[1] عنِ ابنِ عباسٍ -رضي الله عنهم جميعاً- في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[2] أنه قال: ((الكرسيُّ موضع القدَمين، والعرشُ لا يقدر قدْره إلا الله تعالى))[3].

---

(١) هو: سعيد بن جبير بن هشام التابعي، أبو عبد الله الأسدي الوالبي مولاهم الكوفي؛ أحد الأئمة الأعلام، سمع ابن عبّاس وعديّ بن حاتم وابن عمر، وغيرهم، وقد روى له الجماعة؛ وكان عالماً فقيهاً، وكان كاتباً لعبد الله بن عتبة بن مسعود، ثم كتب لأبي بردة بن أبي موسى الأشعري؛ قتله الحجاج سنة خمس وتسعين للهجرة. انظر: الوافي بالوفيات: للصفدي: (١٥/١٢٩-١٣٠ برقم٤٨٦٢).

(٢) سورة البقرة: (٢٥٥).

(٣) سبق تخريجه في المبحث الثاني والعشرين من هذا الفصل.

وكذلك ورد نحوُه من قول أبي موسى الأشعري موقوفاً عليه بسندٍ صحيح؛ ولفظه: ((الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ القدمين، وَلَهُ أَطِيْطٌ كَأَطِيْطِ الرَّحْلِ[1]))[2].

وقيل: أن الكرسيَّ هو العرشُ، وليس هما شيئان مختلفان؛ وليس هذا بصحيح، بل الكرسي غير العرش، كما هو واضح من أثر ابن عباس السابق، حيث وصف فيه كُلًّا منهما بوصف مختلف يدل على اختلافهما.

قال الإمام ابنُ أبي العِز الحَنَفي[3] رحمه الله عندَ ذِكره للكرسيّ: (وقد قيل: هو العرش؛ والصحيحُ أنه غيره ... ومن قال غير ذلك فليس له دليل إلا مجرد الظن. والظاهر أنه من جراب الكلام المذموم، كما قيل في العرش، وإنما هو كما قال غير واحد من

---

(١) الأطيط: أصوات الإبل، وقال ابن السّكيت: الأطيط: زفير الإبل من البطنة. انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين: لابن الجوزي: (٣٠٤/٤) ؛ وليس الأطيط من صفات رب العزة، تعالى شأنه عن ذلك، قال الإمام الذهبي في كتاب العلو (ص١٠٧ برقم ٢٧٣): "وليس للأطيط مدخل في الصفات أبداً، بل هو كاهتزاز العرش لموت سعد، وكتفطر السماء يوم القيامة، ونحو ذلك).

(٢) رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في السنة: (٣٠٢/١-٣٠٣ برقم ٥٨٨) ، وقال محققه محمد القحطاني: "في إسناده انقطاع" ؛ وابن أبي شيبة في العرش: (ص٤٣٥-٤٣٦ برقم ٦٠) ؛ وأورده الذهبي في العلو (ص١٠٧ برقم ٢٧٣) ؛ وصحح الألباني إسناده موقوفاً في مختصر العلو: (ص١٢٣-١٢٤ برقم ٨٥) ، وفي تحقيقه على كتاب: ما دل عليه القرآن: للآلوسي: (ص٩٨).

(٣) هو علي وقيل: محمد بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الصالحي الأذرعي، صدر الدين، قاضي القضاة بدمشق ثم بالديار المصرية؛ صاحب «شرح العقيدة الطحاوية» مولده سنة إحدى وثلاثين وسبع مائة؛ وتوفي سنة اثنتين وتسعين وسبع مائة في شهر ذي القعدة. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: (٨٧/٣ برقم١٨٨) ؛ وإنباء الغُمر بأنباء العُمر: كلاهما لابن حجر: (٤٠٨/١-٤٠٩ برقم٢٤).

السلف: بين يدي العرش كالمِرْقاة إليه)[1] ونَقل أثرَ ابن عباسٍ المذكور آنفاً مستدلاً به على المبايَنة بينهما.

وقيل أيضاً: أنّ الكرسيَّ هو علمُ الله تعالى؛ وهو قول الجهمية[2]، فأنكروا الكرسيَّ المعروف.

ويُنسب تفسير الكرسي بالعلم إلى ابن عباس، وليس ذلك بمحفوظٍ عنه، وإنما المحفوظ عنه ما قد تقدَّم، والله أعلَم[3]، وإنما هو قول الجهمية.

يقول الحافظ أبو نعيم الأصبهاني فيما نقلَ عنه شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رحمهما الله تعالى أنه قال في «محجة الواثقين ومدرجة الوامِقين»[4] تأليفه: (له العرش المستوي عليه، والكرسيُّ الذي وسِعَ السماواتِ والأرضَ، وهو قولُه تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[5]، وكرسيُّه جسمٌ، والسماوات السَّبْعُ والأرضون السَّبْعُ عند الكرسي كحلَقةٍ في أرضٍ فلاة، وليس كرسيُّه عِلمَه كما قالتِ الجهمية، بل يوضع كرسيُّه يومَ القيامة

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز الحنفي: (ص٢٧٩-٢٨٠) ؛ وانظر: البداية والنهاية: لابن كثير: (٢٣/١).

(٢) انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: للملطي: (ص٧٤ ، ٧٨) ؛ ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٦٠/٥).

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز الحنفي: (ص٢٨٠) ؛ ورد الدارمي على بشر المريسي: (ص٧١) ؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة: للألباني: (٢٢٣/١).

(٤) لم أقِف على هذا الكتاب لأبي نعيم مطبوعاً، وقد نسبه إليه ابن تيمية في غير ما موضع، كما في مجموع فتاويه: (٦٠/٥ ؛ ٧١/١٨) ، وكذا نسبه إليه السفاريني في لوامع الأنوار البهية: (١٩٦/١).

(٥) سورة البقرة: (٢٥٥).

لِفصل القَضاء بينَ خلقِه ...)[1].

فهذه الأوصاف التي وسَمَ بها الكرسيَّ الحافظُ -من أنه جِسم، وأن جميع السماوات والأرضين عنده كحَلَقة في أرضٍ فلاة، وأنه سيوضع بيْنَ الخلائق لِفصل القضاء يوم القيامة- كلُّها أوصافٌ تدل على أنه كرسيٌّ معروف، وليس المراد منه العلم كما زعمت الجهمية.

ويتبين من ذلك أن الكرسيَّ هو موضع قدَمَي الرَّبِّ تبارك وتعالى، وليس هو عرشه، بل العرش غيرُه، ولا هو عِلمُه سُبحانه، بل إنَّ سائر الرِّوايات عن ابن عباس وغيره تدلُّ على أن المراد به الكرسي المشهور المذكور مع العرش.[2]

فيثبت أهل السنة لله تعالى كرسيه الذي وردَ ذِكره في نصوص القرآن والسُّنة على ما ورد به من الأوصاف، و لم يحرِّفوا معناه إلى غيره، وبدّعوا من قال بغير ذلك؛

يقول الإمام مجاهد رحمه الله: (كانوا يقولون: ما السَّماواتُ والأرضُ في الكرسيِّ إلا كحَلَقة في فَلاة)[3].

ويقول الإمام أبو عمرو الدَّاني[4] رحمه الله في سياق بيان مذهب السلف

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٥/٦٠) ، وانظر: لوامع الأنوار البهية: للسفاريني: (١/١٩٦).

(٢) انظر: الأسماء والصفات: للبيهقي: (٢/٢٧٢).

(٣) نقله أبو عمرو الدَّاني في الرسالة الوافية: (ص٢٧) ؛ وسعيد بن منصور في سننه: (٣/٩٥٢ برقم٤٢٥) ؛ والملطي في التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: (ص٧٨).

(٤) هو: عثمان بن سعيد بن عثمان الأموي مولاهم القرطبي، المعروف في زمانه بابن الصيرفي ثم بأبي عمرو الداني لنزوله بدانية، ولد سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة، أحد الأئمة في علم القرآن، قرأ بالروايات على ابن خواستي، وخلف بن إبراهيم، وغيرِهما؛ وسمع الحديث من أبي مسلم و أحمد بن فراس، وطائفة كبيرة؛ قرأ عليه أبو بكر ابن الفصيح وأبو الذواد، وخلق سواهم؛ من مصنفاته: =

ومَن تبعهم من الخلف في الاعتقادات قال: (ومِن قولهم: إنَّ الله سبحانه خلقَ العرش ... وأنه تبارك وتعالى خلقَ الكُرسيّ وهو بين يدَي العَرش)[1] ثم نقلَ عن ابن عباس أثره المشهور في تفسير الكرسي، السابق ذكره.

وفيه أن الكرسي مخلوق خلقه الرب تبارك وتعالى، وهذا ينفي تفسيرَ من فسره بالعلم، لأنَّ العِلم من صفات الله تعالى وصفاته غير مخلوقة، كما أنَّ في قوله هذا حكاية لاعتقاد عامة أهل السنة في الكرسيّ وإثباتهم إيَّاه، فهم يثبتونه جميعاً على حقيقته، كما يقول قِوَام السُّنة إسماعيل الأصبهاني رحمه الله: (ومَن قال: العرشُ مُلكٌ؛ أو الكرسيُّ ليس بالكرسيِّ الذي يَعرف الناسُ فهو مبتدِع، قال الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[2] ..)[3].

إلى غير ذلك من أقاويلهم في إثبات الكُرسي على المعنى الذي يعرفه الناس، من غير استنكارهم له، وذلك لإيمانهم بأن الله عز وجل يخلق ما يشاء في خلقه ويختار، ويفعل ما يريد.

وقد ورد ذكر الكرسي مضافاً إلى الرَّب تعالى في القرآن الكريم في موضع واحد، وهذا الموضع هو قوله سبحانه وتعالى في سورة البقرة في أعظم آية من القرآن الكريم: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[4].

=«جامع البيان في القراءات السبع»، و«إيجاز البيان» في قراءة ورش، وغير ذلك؛ توفي بدانية سنة أربع وأربعين وأربع مئة، رحمه الله. انظر: معرفة القراء الكبار: للذهبي: (٧٧٣/٢ برقم ٤٩٥-٧٨١).

(١) الرسالة الوافية : لأبي عمرو الدَّاني: (ص٢٦).

(٢) سورة البقرة: (٢٥٥).

(٣) الحجة في بين المحجة: للأصبهاني: (٢٤٩/١).

(٤) سورة البقرة: (٢٥٥).

وكذلك ورد ذِكر الكُرسيّ في الأحاديث؛ فقد أورد جمعاً منها الإمام البيهقي في «الأسماء والصفات» تحت عنوان''باب ما جاء في العرش والكرسي''[1]، والملطي[2] في كتابه: «التنبيه والرَّد»[3]، والدارقطني في «الصفات»[4] وغيرهم من العلماء.

فتبين مما سبق أن الكرسي حق، وأنه مخلوق عظيم خلقه الله تعالى بين يدي العرش، بل هو أعظم من السماوات والأرضين، فما السَّماواتُ السبع والأرضُ في الكرسيِّ إلا كحلَقة في فَلاة، وهو موضع القدمين، وأن إثباته ليس تظنُّناً ولا رجماً بالغَيب، وإنما هو أمرٌ توقيفيٌّ وقف عنده أهل السُّنة والجماعة.

---

(١) الأسماء والصفات: للبيهقي: (٢/٢٧٢).

(٢) الملطي هو: محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين الملطي، من أهل ملطية، نزل بعسقلان، عالم بالقراءات، من فقهاء الشافعية، من تصانيفه: «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع»، و«قصيدة» في وصف القراءة والقراء، وغير ذلك؛ سمع خيثمة الأطرابلسي، وأحمد الوزان، وروى عنه عبيد الله بن سلمة، وإسماعيل بن رجاء، وغيرهم؛ توفي بعسقلان سنة سبع وسبعين وثلاث مائة. انظر: الأعلام: للزركلي: (٥/٣١١) ؛ وفهرسة ابن خير الإشبيلي: (ص٦٥ برقم١٢٤) ؛ وغاية النهاية في طبقات القراء: لابن الجزري: (ص٨٨١-٨٨٢).

(٣) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: للملطي: (ص٧٨).

(٤) الصفات: للدارقطني: (ص٢٩-٣٠).

تقرير الشيخ بديع الدين السندي لعقيدة أهل السنة فيما يتعلق بهذا المبحث:

ورد إثباتُ الكرسي لله تعالى في كلام الشيخ السندي رحمه الله في مقامات عديدة، منها قوله في خطبته لكتاب «التوحيد الخالص»: (أشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، العَليُّ المتعالي الأعلى، العزيز الجبار المتكبِّر الخالق البارئ المصوِّر، له الأسماءُ الحسنى، وسِعَ كرسِيُّه السَّماوات والأرض ...)[1].

وهذه الجملة الأخيرة من هذا الكلام مأخوذ من قول الله تبارك وتعالى في آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾[2].

وقد ذكر الشيخ عِظَمَ الكُرسي في سياق بيان عَظَمة الخالق سبحانه وتعالى مستدلاً على ذلك بهذه الآية العظيمة؛ يقول الشيخ -وهو يَرُدُّ على استدلال الصوفية بحديثٍ موضوعٍ على الحلول، وهو تقوُّلهم على الله تعالى بأنه قال: ﴿مَا وَسِعَنِي سَمَائِي وَلا أَرْضِي، وَلَكِنْ وَسِعَنِي قلبُ المُؤْمِنِ﴾[3]- يقول الشيخ: (هذه أيضاً رواية باطلة؛ لا ثبوتَ لها لفظاً ولا معنىً؛ بل ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾[4] والعرشُ لا يَقْدُر أحدٌ قدرَه إلا الله)[5].

وهذه الجملة تتضمن إثباتَ الكرسيِّ من خلال هذه الآية المباركة، حيث ساقها الشيخ في هذا المقام للاستدلال بها على عظمة الخالق جلّ جلاله، وبيان أن الكرسي وسع

---

(١) خالص توحيد (التوحيدُ الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١ مخطوط).

(٢) سورة البقرة: (٢٥٥).

(٣) سبق ذكره وبيان أنه لا أصل له في المبحث الثالث من هذا الفصل.

(٤) سورة البقرة: (٢٥٥).

(٥) خالص توحيد (التوحيدُ الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص١٠٣ مخطوط).

السماوات والأرض، وهو مخلوق من مخلوقات الله، فكيف يليق بالله سبحانه وتعالى بأن يسعه قلب المؤمن؛ ففيه -مع تتريهِ الله عزَّ وجلَّ- إثباتٌ للكرسي، وأنه مخلوق عظيم وسع السماوات والأرض.

وكذلك ذكر الشيخ عدداً من الأحاديث النبوية التي فيها ذِكر الكرسي، وهذه الأحاديث وإنْ كان الشيخ قد ذكرها في سياق الاستدلال بها على صفة العلو فقد أثبت منها الكرسيَّ كذلك، ومن هذه الأحاديث المباركة:

١- عن أنس ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ : ﴿أَتَانِي جبْرائيل ﷺ وَفِي يَده مرْآة بَيْضَاءُ فِيهَا نُكْتَة سَوْدَاء، فَقلتُ: مَا هَذَا يَا جبْرائيلُ؟ قَالَ: هَذِه الْجُمُعَة يَعْرِضُهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ عَزَّ وجَلَّ﴾ وفيه: ﴿قُلْتُ: مَا هَذِهِ النَّكْتَةُ السَّوْدَاءُ فِيهَا؟ قَالَ: هِيَ السَّاعَةُ تَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ سَيِّدُ الأَيَّامِ عِنْدَنَا، وَنَحْنُ نَدْعُوهُ يَوْمَ الْمَزِيدِ فِي الآخِرَةِ. قُلْتُ: وَمَا تَدعوهُ يَوْمَ الْمَزِيدِ؟ قَالَ: إِنَّ رَبَّكَ اتَّخَذَ فِي الْجَنَّةِ وَادِيًا أَفْيَحَ مِنْ مِسْكٍ أَبْيَضَ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ نَزَلَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ عِلِّيِّينَ عَلَى كُرْسِيِّهِ، ثُمَّ حَفَّ الْكُرْسِيَّ بِمَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّونَ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَيْهَا، ثُمَّ حَفَّ الْمَنَابِرَ بِكَرَاسِيٍّ مِنْ ذَهَبٍ، ثُمَّ جَاءَ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ أَهْلُ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَى الْكَثِيبِ،فَيَتَجَلَّى لَهُمْ رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّى يَنْظُرُوا إِلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الَّذِي صَدَقْتُكُمْ وَعْدِي، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وهَذَا محلُّ كَرَامَتِي، فَيَسْأَلُونَهُ وَيَسْأَلُونَهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ رَغْبَتُهُمْ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ إِلَى أَوَانِ مُنْصَرَفِ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ يَصْعَدُ عَلَى كُرْسِيِّهِ ... الحديث﴾[١].

قال الشيخ السندي تعليقاً على هذا الحديث المبارك: (فيه صعود الربِّ على الكُرسيّ)[٢].

(١) سبق تخريجه في المبحث العشرين من هذا الفصل.

(٢) خالص توحيد (التوحيدُ الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٥٦-٥٧ ، ٧٥ مخطوط).

٢- وأخرج الذهبي معلقاً عن زيد بن أسلم[١] أنَّ رسول الله ﷺ قال: ﴿مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِيْ الْكُرْسِيِّ، إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتِ فِيْ التُرْسِ[٢]﴾[٣].

وهو حديثٌ خرجَ مَخرج التفسير لقول الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[٤].

ولذلك يقول الشيخ في تعليقه على هذا الحديث: (فيه ذكر مثال السماوات في الكرسي، أنها كالدراهم في الترس)[٥] أي أنَّ ذكر الدارهم السبعة في الحديث كناية عن السماوات السبعة المذكورة في الآية، فدل الحديث أن الكرسي أوسع بكثير من هذه السماوات وأعظم، وهو مخلوق عظيم كبير.

---

(١) هو زيد بن أسلم العدوي المدني الفقيه المفسر، أبو أسامة، مولى عمر بن الخطاب، من كبار التابعين، وثَّقه أئمةٌ أعلام، وهو عند أصحاب الكتب الستة؛ روى عن أبيه، وابن عمر، وآخرين؛ وعنه أولاده الثلاثة، ومالك بن أنس، وجماعة غيرهم؛ توفي سنة ست وثلاثين ومائة. انظر: التفسير والمفسرون: لمحمد حسين الذهبي: (٨٧/١-٨٨) ؛ وتهذيب التهذيب: لابن حجر: (٦٥٨/١-٦٥٩).

(٢) الترس هو: بضم المثناة الفوقية، وسكون الراء، وهو الْمِجن. عون المعبود شرح سنن أبي داود: لشمس الحق العظيم آبادي: (٥٣/١٢).

(٣) أخرجه الذهبي في العلو للعلي الغفار: (ص١١٧ برقم٣١٣) ؛ وأبو الشيخ في العظمة: (٥٨٧/٢ برقم٢٢٠) ؛ والطبري في التفسير: (٥٣٩/٤) ؛ وذكره ابن كثير في البداية والنهاية: (٢٤/١) وقال إنه مرسل. والحديث ثابت بلفظ: ﴿مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِيْ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مُلْقاةٍ بِأَرْضِ فَلاةٍ﴾ انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة: للألباني: (٢٢٣/١ برقم١٠٩) ؛ ومختصر العلو: له: (ص١٣٠ برقم١٠٥).

(٤) سورة البقرة: (٢٥٥).

(٥) خالص توحيد (التوحيدُ الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٦٩ ، ٧٨ مخطوط).

٣- وأخرج الذهبي معلقاً عن جابر ﷺ قال: ﴿لَمَّا رَجَعَتْ مُهَاجِرَاتُ الْبَحْرِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ؛ قَالَ: ''أَلَا تُحَدِّثُون بِأَعْجَب شَيْءٍ رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ؟'' فقَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ إِذْ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِهِمْ تَحْمِلُ قُلَّةً[١] مِنْ مَاءٍ، فَمَرَّتْ بِفَتًى مِنْهُمْ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا، ثُمَّ دَفَعَهَا عَلَى رُكْبَتِهَا، فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا، فَلَمَّا ارْتَفَعَتِ الْتَفَتَتْ، فَقَالَتْ: سَوْفَ تَعْلَمُ، يَا غُدَرُ![٢] إِذ وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسِيَّ، وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَتَكَلَّمَتِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، تَعْلَمُ أَمْرِي وَأَمْرَكَ عِنْدَهُ غَدًا. فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ''صَدَقَتْ، كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ قوماً لَا يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ قَوِيِّهِمْ'' ﴾[٣].

ووجه الاستشهاد من هذا الحديث أنَّ فيه إثباتَ الكرسيّ، وأنه من وصفه أنه سيوضع يوم القيامة لِفصل القضاء بين الخلائق؛ يقول الشيخ رحمه الله: (فيه ذِكر جَمْعِ الله تعالى الأوَّلِينَ والآخِرِينَ يومَ القيامة، وأنه يَضعُ الكرسيِّ لِفصل القضاء)[٤] وقد ورد تصديق النبي ﷺ على قول العجوز في ذلك.

---

(١) القلة هي: الجِرار؛ قاله ابن إسحاق. وفي القاموس: القُلة بالضم الحب العظيم والجرة العظيمة، أو عامة، أو من الفخار. انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: للمباركفوري: (٢١٦/١).

(٢) غُدَر: من الْغدر، وهو ترك الوَفاء. قَال الجَوهري: غدر به فهو غادر، وغدر أيضاً، وأكثر ما يُستَعمل هذا في النداء بالشتم. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: لبدر الدين العَيني: (٣٥٣/١).

(٣) حديث صالح لغيره؛ رواه ابن ماجه في سننه واللفظ له: كتاب الفِتَن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: (ص٦٦٢-٦٦٣ برقم٤٠١٠) ؛ وابن أبي حاتم في تفسيره: (٣٢٧٢/١٠ برقم١٨٤٥٧) ؛ والذهبي في العلو للعلي الغفار: (ص٨٥ برقم١٩٤) وقال: إسناده صالح. قال الألباني في مختصر العلو (ص١٠٦) تعليقاً على قوله هذا: "كذا قال، فإن كان يعني أنه صالح لغيره فمقبول".

(٤) خالص توحيد (التوحيدُ الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٦٣ ، ٧٩ مخطوط).

وكذلك ذكر الشيخ السندي رحمه الله بعض الآثار الموقوفة على الصحابة في إثبات الكرسيّ؛

١- فقد ذكر أنه أخرج البيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي موسى ﷺ قال: ((الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَينِ، وَلَهُ أَطِيْطٌ كَأَطِيْطِ الرَّحْلِ))[(١)].

يقول الشيخ تعليقاً على الأثر المذكور: (فيه أنَّ الكرسيَّ موضعُ القَدَمَيْن)[(٢)].

٢- ومن الآثار الموقوفة كذلك أثرُ عبدِ الله بن مسعود ﷺ قال: ((بَيْن سَمَاء الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسمِائَةِ عَام، وَبَيْن كُلّ سَمَاء خَمْسمِائَةِ عَام، وَبَيْن السَّمَاء السَّابِعَة وَالْكُرْسِيّ خَمْسمِائَةِ عَام، وَبَيْن الْكُرْسِيّ وَالْمَاء خَمْسمِائَةِ عَام، وَالْكُرْسِيّ فَوْق الْمَاء، وَاللَّهُ فَوْقَ الْكُرْسِيّ، وَيَعْلَم مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ))[(٣)].

وهذان الأثرانِ المذكورانِ وإنْ كانا موقوفَين سَنداً على الصحابة، إلا أنهما على قاعدة الشيخ السندي في حكم المرفوع؛ لأنهما في أمر من الأمور الغيبية، التي لا يُتكلم في مثلها بالرأي والظن، بل يحمل على السماع، كما تقدم بيانه من تقرير الشيخ في غير ما موضع.[(٤)]

فتبيَّن مما سبق من تقرير الشيخ وما ذَكر من الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة أن الكرسي حق، وهو خلْقٌ من مخلوقات الله تعالى، وهو أعظمها بعد العَرْش، والسماوات السبع أصغر من الكرسي، وأنه جرم عظيم قائمٌ بنفسه وليس شيئاً معنوياً، بل هو موضع القدَمَين للرب تبارك وتعالى، وهو أعلى المخلوقات دون العرش.

---

(١) سبق تخريجه في هذا المبحث قريباً.

(٢) خالص توحيد (التوحيدُ الخالص) أردو: لبديع الدين السندي: (ص٧٢ ، ٧٩ مخطوط).

(٣) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات: (٢/٢٩٠ برقم٨٥١) ؛ وابن خزيمة في التوحيد: (١/٢٤٤ برقم١٥٠) ؛ وذكره الشيخ بديع الدين السندي في: خالص توحيد (التوحيدُ الخالص) أردو: (ص٧٠-٧١ مخطوط).

(٤) انظر من هذه الرسالة: المبحث الثامن عشر، والثاني والعشرين.